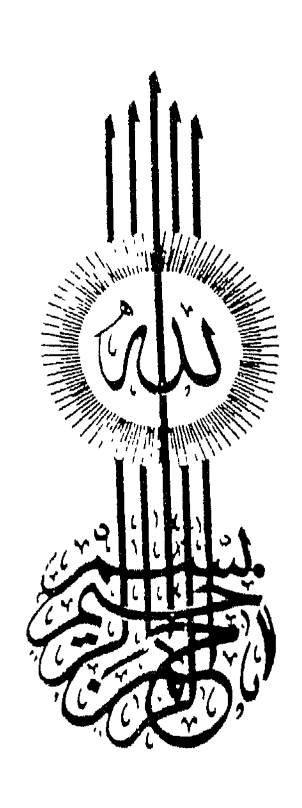
النهضة الحسينية

شهيد المحراب
آية الله عبد الحسين دستغيب

الدار الإسلامية

النهضة الحسينيّة


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب . ١٤٥٦٨ تلكس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

شهيد المحراب، السيد عبد الحسين دستغيب ، عليه الرضوان والرحمة ،علمٌ أعرف من أن يعرّف، وعارف روحاني أشهر من أن يصنّف .

كلماته للروح غذاء . . وللقلب الغارق في أدران المادة خير دواء .

يقبل الناس على مؤلفاته بشوق ولهفة ، ينهلون منها جرعات الشفاء لأرواحهم ، فتنسلّ إليها عذبة رقراقة ، وتستقر منهم في القلوب قبل الأسماع .يعرجون معها نحو صفاء الفطرة وطهارة الصدق بكل يسر وعفوية وبساطة ، ويردون معها مناهل العرفان ، تغتذي بها أرواحهم ، وتطمئن إليها نفوسهم .

وإن الدار الإسلامية ، إذ أخذت على عاتقها ترجمة ونشر مؤلفات السيد الشهيد فإنما هي الاستجابة لما لمسته من إقبال

القراء الكرام عليها ، ونزولاً عند رغبتهم ، وحرصاً منها على وصول آثار الشهيد إلى جميع عارفيه ومحبيه.

وقد تم لها بعون الله وتوفيقه طبع الكتب المدرجة فيما يلي للمؤلف :

الذنوب الكبيرة ١ / ٢
التوحيد والعدل
النفس المطمئنة
الاستعاذة
شهر الله
النهضة الحسينية

وهو هذا الكتاب ، ويليه بعون الله ما هو قيد الإنجاز :

النبوّة والمعاد
القلب السليم
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
القصص العرفانية المعروفة (بالعجيبة)

أما هذا الكتاب الذي هو بين أيديكم ، فإنه صورة صادقة لشفافية روح المؤلف الشهيد ، ومرآة صادقة لأعماقه الصافية ، بث فيه بوح نفسه الكريمة نحو أشرف بيت خلقه الله هو بيت النبوة ، وأكرم دوحة في هذه الأرض هي دوحة أهل البيت عليهم السلام .

ورسم فيه السبيل الأقوم للبشرية في هذا العصر ، سبيل الجهاد الحق ، والفداء في سبيل الحق .

وتبقى كربلاء ، وتبقى نهضة الحسين (ع) نبراساً يهتدي به الخلق ، ينير لهم الدرب ، ويرسم لهم آفاق مستقبل نيّر وضّاء .

الدار الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

« اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين (ع) في الدنيا والآخرة »
كنت أرجو أن أوفق يوماً لإهداء كتاب لإخواني المجاهدين ، أولئك الذين هاجروا من وطنهم أو هجّروا وهم يقاتلون أعداء الله وأعداء رسوله .

وبقيت مع هذا الرجاء مدة وأنا أفكر . . ماذا أقدم لهم ؟ وأيّ كتاب أستطيع أن أنفع به أولئك الصادقين . . ؟ .

وهل يستطيع مثلي ممن لم يطهر قلبه من علائق هذه الدنيا أن ينصح بقول أو قلم من حملوا أرواحهم على أكفهم ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه . . ؟ .

الحقيقة أنني عاجز . . . بل كنت أنـا الذي أتعلم منهم . . . ولكن لست أدري كيف وقعت عيني على هـذا الكتاب ، فنهض في قلبي العزم على ترجمتـه ، فقد كنت معجباً بمؤلفه ، لهجاً باسمه ، محباً لدروسه وكتبه . وقد وفقني الله تعالى إلى ذلك .

فـإلى أولئك المؤمنين الـذين ركلوا حطام هـذه الـدنيا

بأقدامهم . . إلى أولئك الذين أفتخر بلثم أياديهم ، وأرجو أن يكون حشري معهم . .

إلى كل هؤلاء أهدي ثواب جهدي في هذا الكتاب ، إذا تفضل الله على عبده الفقير بالقبول .

« اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود ، وثبّت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين (ع) » .

المترجم

محرم الحرام/١٤٠٥هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

بين كربلاء وعرفة

زيارة كربلاء

لقد جعل ربّ العالمين ـ لطفاً بعباده ـ قبر الحسين (عليه السلام) بدلاً من حجّ بيت الله الحرام ، ليتمسّك به من لم يوفّق للحج .

بل إن ثوابه لبعض المؤمنين ـ وهم الذين يراعون شرائط الزيارة ـ أكثر من ثواب الحج ، كما هو صريح كثير من الروايات الواردة في هذا المعنى . ومن جملة تلك الروايات ما ورد في زيارته يوم عرفة حيث ورد :

« إن الله ينظر إلى زوّار قبر الحسين (عليه السلام) نظر الرحمة في يوم عرفة قبل نظره إلى أهل عرفات » .

التوّسل على مقدار المعرفة والإخلاص

سوف نتحدث طويلاً ـ بعون الله ـ عن عظيم آثار زيارة الحسين (عليه السلام) ، إلّا أننا نشير فيما يلي إجمالاً إلى أن الناس إنما يثابون على زيارة الحسين (عليه السلام) كلٌّ حسب حاله وبمقدار معرفته وإخلاصه .

مثال ذلك أن للتوّسل به (عليه السلام) من خلال زيارة قبره ، وعقد مجالس العزاء ، والإطعام باسمه (عليه السلام) آثاراً عجيبة لا تتحقق إلّا في توفر عنصر الإخلاص .

الزوّار الذين لا يراعون الشرائط

نقل الشيخ الشوشتري في مجالس وعظه حديثاً عن الإمام الصادق (عايه السلام) أنّه قال للمفضّل :

« تزورون خير من أن لا تزوروا ، ولا تزورون خير من أن تزوروا !

قلت : قطعت ظهري :

فقال (عليه السلام) : تالله إنّ أحدكم ليذهب إلى قبر أبيه كئيباً حزيناً وتأتونه بالسُّفَر ، كلاَّ حتى تأتوا شعثاً غبراً » .

زيارة الحسين (ع) بحالة الحزن والكآبة

يستحب لمن أراد السفر أن يهيىء الزاد والمتاع إلّا في زيارة الحسين (عليه السلام) .

ففي زيارة بيت الله يستحب البذل والتوسعة في توفير أسباب السفر ، وعدم التقتير في الصرف ، أمّا في زيارة كربلاء فينبغي أن يكون الزائر على هيئة المصاب المعزّى ، فأكله وشربه مثل أكل وشرب صاحب العزاء والمصيبة، من حين سفره من وطنه إلى حين وصوله إلى كربلاء، وهكذا في عودته، كمن يزور قبر عزيز له من أقربائه ورحمه، وكما لو كانت فاجعة عاشوراء قد وقعت بالأمس ، فهل يذهب الإنسان إلى قبر أبيه في اليوم الأول من وفاته ضاحكاً مسروراً ؟ وهل يزّين نفسه ؟ وهل يعدّ وسائل الرفاه ويصحبها معه ؟

لذا يستحب أن يذهب لزيارة الحسين (عليه السلام) يعلوه الحزن والغبار ، وبالتأكيد فإن ذلك من شرائط كمال الزيارة وتمامها .

الانتفاع من مجالس العزاء

يقول الشيخ الشوشتري : إن مجالس العزاء الحسيني هي أيضاً كذلك ، فيجب على من يشترك فيها الحذر من الرياء ومُداخلة الهوى ، بل يجب أن يكون المجلس مجلس عزاء حقيقةً . والشخص المحزون المهموم فيه هو الذي يستفيد يقيناً من أمثال هذه المجالس ويثاب .

محرم أو رمضان الثاني

وعلى أي فكما أن كربلاء هي البدل عن عرفات والحج ، فكذلك ، من ناحية الزمان ، جعل ربّ العالمين شهر محرّم بدلاً من شهر رمضان المبارك ، فهذه الأيام العشرة من محرَّم هي للحسين

(عليـه السـلام) ، وأنتم فيهـا ضيـوف الحسين (عليـه السـلام) ، والمضيّف هو أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) .

تقوم القيامة في محرم

روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) رقي المنبر بعد حرب صفين وخطب خطبة غرّاء حدّث الناس فيها عن أحوال وأخبار آخر الزمان ، ثم حدّثهم عن قيام الساعة وعلامات ذلك حتى انتهى إلى قوله (عليه السلام) :

« ألا فليبلّغ الشاهد الغائب أن الساعة تقوم في أول محرّم »[1] وفي رواية أخرى في العاشر من محرّم .

ظهور العدل الإلهي في القيامة

لقد احتمل البعض أن أساس قيام القيامة إنما هو من أجل أن يظهر الله عدله على الظالمين ، وفضله على الصالحين .

ولما كان قتلة الحسين (عليه السلام) هم أسوأ الظلمة ، وأصحاب الحسين (عليه السلام) هم أفضل الصالحين كان مناسباً أن يكون قيام الساعة مزامناً ليوم وقوع هذه الجريمة الكبرى على يد الظالمين ، وتحقق الفداء العظيم من أنصار الحسين (عليه السلام) .

---

(١) لم نوفق مع قلة المصادر عندنا وضيق الوقت للعثور على أصل النص . نعم الوارد في بعض الروايات أن قيام القائم (عليه السلام) يكون في محرّم ولعلّ هذا ما أراده المصنّف .

الاستفادة من أيام عاشوراء

كما ينبغي الاستفادة ـ بأقصى حد ـ من أيام شهر رمضان المبارك، فكذلك بالنسبة لشهر محرّم الذي يعتبر بديلاً عنه ، لذا لزم تقديره .

والآن ، يجب أن نستفيد من نعمة هذه الأيام التي قدّر الله أن تكون من أعمارنا ، وما أكثر الأشخاص الذي حرموا من نعمتها ، وهم الآن تحت التراب ، لذا يجب على من يعيش نعمة الحياة ويدرك ثواب هذه الأيام أن يسعى للاستفادة منها حسبما يستطيع .

طريق الاستفادة الأكثر

المهم أن نعرف كيف نستفيد أكثر من هذه الأيام المباركة .

فإذا وضعنا أمام نظرنا ـ في هذه الأيام صباحاً ومساءً ـ حالات الحسين (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته ، ولم نبعد عن ذهننا ذكر الحسين (عليه السلام) بكل الأحوال ، ولم نغفل عن وضعه (عليه السلام) فإن مرآة قلوبنا حينئذٍ ستستنير أكثر بنور الحسين (عليه السلام) .

قلب المؤمن مرآة ، فماذا يصنع بها نور الحسين (عليه السلام) حين توضع أمامه !؟ إن ذكر مصيبة الحسين (عليه السلام) تطهّر القلب من أدرانه ، وبنورها ستنوّر القلب نفسه .

لكل مصيبة أثر في القلب

مصائب الحسين (عليه السلام) كما يذكر الشيخ الشوشتري

عديدة متنوعة ، لا يوجد قلب لا ينكسر عند ذكر إحداها ، وحين ينكسر القلب يطهر ، وحين يوضع أمام النور يستنير .

لقد سمعتم أن من يبكي على الحسين (عليه السلام) يطهر من جميع ذنوبه ، وذلك لأنه أدى عبادة قلبية ، وبالحقيقة فإن نور الحسين (عليه السلام) هو المطهّر وليس عمل الشخص ذاته .

إن من استمر على هذه الحال ، وكان مشغولاً في هذه الليالي العشر والأيام ـ على الأقل ـ بذكر الحسين (عليه السلام) ومصائبه حسبما أمكن، ومستحضراً في ذهنه مشاهد الحسين (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) ، وحاضراً المجالس التي تعقد باسم الحسين حسبما استطاع ، يفعل به نور الحسين (عليه السلام) ما يفعله به ذكر الله .

الحسين (ع) يذكره أيضاً

يقول تعالى في القرآن المجيد : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة .

وكل من أراد أن يذكر الحسين (عليه السلام) يجب عليه أن يذكره خاصّة في هذه الأيام ، ليرى ذكر الحسين (عليه السلام) في الآخرة حين موته .

وفضلاً عن الآخرة، يحل له الحسين (عليه السلام) في هذه الدنيا من العقد أصعبها ، ويتفضّل عليه بالعناية .

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« وإنه ـ أي الإمام الحسين (عليه السلام) ـ لعن يمين العرش متعلّق به يقول : يا ربّ أنجز لي ما وعدتني . . » .

والأفضل أن ننقل تمام الحديث :

نظر الحسين (ع) لمجالس العزاء

روى الصدوق عليه الرحمة أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان يجلس للعزاء من أوّل يوم من محرّم ، ويحضر عنده الشيعة من سائر الأطراف . يقول (عليه السلام) في البشرى لأصحاب العزاء :

« إن الحسين (عليه السلام) مع أبيه وأمّه وأخيه في منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه يرزقون ويحبرون ، وإنه لعن يمين العرش متعلّق به يقول : يا ربّ أنجز لي ما وعدتني ، وإنه لينظر إلى زوّاره ، وإنه أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رجالهم من أحدهم يولد مع أبيه وأمّه وأخيه . وإنه لينظر إلى من يبكيه يستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ، ويقول : أيها الباكي لو علمت ما أعدّ لك لفرحت أكثر مما حزنت . وإنه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة »[1]

خمس شدائد مرّت على عيال الحسين (ع)

يليق بنا في هذه الليلة أن نجعل أنفسنا مشمولين بتلك البشائر ،

---

(١) كامل الزيارات .

وذلك بدموع العين والحزن والأنين .

يقول الشيخ الشوشتري : إن هناك خمس شدائد مرّت على عيال الحسين (عليه السلام) في سفرهم ، حتى علا بكاؤهم فيها .

إحداها : ليلة خروج الحسين (عليه السلام) من المدينة « **فخرج** منها خائفاً يترقّب » .

وثانيها : في مثل ليلة غد ، حيث التقى ـ ركب الحسين (عليه السلام) ـ بجيش الحر الرياحي .

وثالثها : سبي نسائهم وحملهن من كربلاء إلى الكوفة ، ومرورهن بأجساد الضحايا ـ وهي مقطعة قطعة قطعة ـ وجسد الحسين (عليه السلام) العاري .

والرابعة : في مجلس ابن زياد .

والخامسة : ـ في دخول الشّام ، وكذلك في دخول المدينة عند عودتهم وقد صاحت العقيلة زينب[1] :

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين طراً رجعنا لا رجال ولا بنينا

---

(١) في كتب المقاتل أن أم كلثوم هي التي انشأت هذين البيتين . /انظر بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصـل الثاني

على ما في القلوب المعوّل

قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[1] كما ورد « قلب المؤمن خزينة الله »[2] .

شرف الإنسان بقلبه ، والقلب سلطان الدن ، وحركة البـدن إنما هي باعتباره ، وقد جاء في أخبار أهل البيت (عليهم السـلام) التعبير عنه بـ(عرش الرحمن) فقد ورد « قلب المؤمن عـرش الرحمن » وفي رواية أخرى أنه خزينة الله ، فكل سلطان له خزينة يحفظ فيها جواهره الثمينـة ، والله تعـالى أيضـاً لـه خــزائن ، ليست في العـرش ولا في

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢١ .
(٢) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٤١ .

السمـاء ، إنما هي في قلب الإنسـان ، أي أن القلب هو محـل ظهور أسماء ربّ العالمين وصفاته .

القلب الرقيق أفضل وعاء

وجاء في رواية أخـرى عن خاتم الأنبيـاء (صلى الله عليه وآلـه) التعبير عن القلب بالإناء ، قال (صلى الله عليه وآله) :

« إن لله آنية في الأرض فأحبها إلى الله ما صفـا منها ورقّ وصلب وهي القلوب »[1] .

القلب هـو الذي يعـطي لعمل الإنسـان حجمـه ، فليست صـورة العمل هي الملاك والمقياس ، بل الملاك هو قلب الشخص .

النظر إلى الباطن والظاهر

وروى الشهيد الثاني رواية أخرى عن خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) يقول فيها : « إن الله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم » فالناس ينـظرون إلى ظاهـر العمل وشكله ، أمّا الله تعالى فـإنـه ينـظر إلى قلب الإنسان .

كيف حال قلب المنفق ؟

إن إنفـاق فلس واحد في سبيـل الله أفضل من إنفـاق عشرة آلاف درهم أو مائة ألف درهم بدون إخلاص ، وبقلب وسخ .

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٤١ .

الأمول التي ردّها الإمام موسى بن جعفر (ع)

لقد قرأتم أو سمعتم ما ينقل في أحوال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) أنه حمل إليه مقدار كبير من الأموال بعنوان سهم الإمام من الخمس وسائر الإنفاقات الشرعية من عدّة أفراد ، إلاّ أنه (عليه السلام) ردّها جميعاً عدا ستة عشر درهماً كانت عائدة لامرأة عجوز ، وقطعة قماش حاكتها بيدها . وقد عُلم بعدئذٍ أن جميع أولئك الذين دفعوا المال انحرفوا سوى تلك العجوز .

إذن فالميزان هو القلب ، فإذا كان القلب رقيقاً قبلت الصلاة وسائر العبادات . وكذلك فقد جاء في القرآن المجيد تعبيرات عديدة عن القلب سواء قلب المؤمن أم قلب الكافر والمنافق .

البكاء على الحسين (ع) وأثره على القلب

إذا اتضحت هذه المقدمة قلنا : إن ما عرف من أن البكاء على الحسين ، وزيارته (عليه السلام) يؤديان إلى آثار عجيبة ، ومن أن الباكي عليه (ع) يحشر مع أهل البيت (عليهم السلام) وتمحى كل ذنوبه . . يتخيل الناس أن ذلك أثر لتلك القطرة المالحة التي تجري من العين ، لذا يتعجبون ، ولعلهم لا سمح الله ينكرون ، غافلين عن أن الدموع على الحسين (عليه السلام) ، إنما تؤثّر على قلب الباكي وصاحب العزاء .

من كان له قلب فإنه يتأثّر لمصيبة الحسين (ع)

فالبكاء على الحسين (عليه السلام) إنما يرتبط بالقلب ، فكل

قلب ـ وإن كان صاحبه كافراً خارجاً عن الإسلام ـ لم يفقد الفطرة كلياً ، يعني كان قلباً حقيقةً ، فمن المحال أن لا ينكسر إذا التفت إلى قضايا كربلاء . وبالطبع فإن هناك الكثير ممن لا التفات لهم ، أمّا إذا التفتوا إلى قضايا كربلاء ، ووضعوها مجسّمة في أذهانهم كما لو رأوها على شاشة السينما فإن القلب سوف ينكسر حتماً .

رقّة القلب تؤثّر على العين

حينما يصبح القلب رقيقاً فإنه يترك أثره على البدن ، لأن القلب حاكم على البدن ، وفي أول كلامنا ذكرنا أن القلب سلطان البدن ، فالقلب المنكسر يظهر أثره واضحاً على العين .

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

« ما بكى أحد رحمةً لنا ولما لقينا إلاّ رحمه الله » .

والخلاصة أن دموع العين مرتبطة بانكسار القلب ورقته ، فالمهم هو القلب ، وانكسار القلب ينعكس أثره على العين .

مصائب الحسين (ع) تجرح القلب

مصيبة الحسين (عليه السلام) ليست واحدة أو اثنتين ، فإن لم تجرح القلب مصيبة واحدة فإن المصيبة الأخرى ستجرحه حتماً .

إن لم تجرح القلب مصيبة عطش الحسين (عليه السلام) فإن مصيبة ابن الحسين (عليه السلام) أو الطفل الرضيع أو إحدى المصائب الأخرى ستجرح قلبه حتماً .

وانكسار القلب له آثار عظيمة تزيد وتنقص كما ورد في الأخبار .

البشرى قبل الموت للباكي على الحسين (ع)

روى المحدّث القمي في كتاب (نفس المهموم) حديثاً بسند متّصل عن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول فيه :

« إن الموجع لنا قلبه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال في قلبه حتى يرد علينا الحوض . . . » .

عمل القلب يغسل الذنوب

القلب هو الذي يعمل في البكاء على الحسين (عليه السلام) ولا ربط لذلك بالجوارح عموماً وليس خاصاً بالدموع .

إن القلب ينكسر ، ويؤثّر أثره ، ولا يعجب أحد من أن البكاء على الحسين (عليه السلام) يمحو الذنوب ، نعم هو كذلك ، فالقلب خزينة الله ، وعرش الرحمن ، وإذا تألم قلب المؤمن ، وارتعش لذكر مصيبة الحسين (عليه السلام) فإن عرش الله يهتز .

وبالطبع ، فإن التباكي هو الآخر حسن ، وهو أن يفرض الإنسان على نفسه حالة البكاء ، إلاّ أن الأساس هو انكسار القلب ، وعلى كل حال فإن الباكين على الحسين (عليه السلام) على درجات ومراتب .

بشارة لأهل العزاء الحسيني

في رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال : « يابن شبيب إن بكيت على الحسين (عليه السلام) حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً ، قليلاً كان أو كثيراً .

يابن شبيب إن سرَّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين (عليه السلام) »[1] .

إن قبر الحسين (عليه السلام) يبعث على انكسار القلب ؛ فالقلب يهتز حين تقع العين على قبره الشريف ذي الزوايا الست .

وقد عدّ من علامات المؤمن انكسار قلبه عندما يقع نظره على قبر الحسين (عليه السلام) .

القلب جدير بالانكسار

نعم ، إن جهاز الحسين (عليه السلام) هو جهاز القلب ، وطريق الحسين هو طريق القلب ، كما أن قبره (عليه السلام) في قلوب محبّيه : « في قلوب من والاه قبره » .

حين يرد الزائر قبره ، يلتفت إلى أن في هذا الضريح بدناً مقطعاً إرباً . . إرباً . . مكسر العظام ، جسماً بلا رأس .

حقاً إن القلب جدير بالانكسار .

---

(١) وسائل الشيعة أبواب المزد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصـل الثـالث

أصحاب الحسين (ع) خير الأصحاب

أنصار الحسين (ع) لا نظير لهم

الحسين (عليـه السلام) شهيـد خاصّ ، له خصـائص
يشاركه فيها أحد ، حتى أولو العزم من الأنبياء .

وقـد ألف بعض العلمـاء السـابقين كتبـاً في خصـ
(عليه السلام) ذكروا فيها أموراً عديدة .

إن من جملة خصائص الحسين (عليه السلام) ا-
أصحابه وأنصاره لم ولن يجتمع لغيره مثلهم من الأولين
لنبيّ ولا وصيّ .

عدد أنصار الحسين (ع)

المشهور أن عدد أنصار الحسين (عليه السلام)

معه في كربلاء اثنان وسبعون ، واستشهد قبل واقعة كربلاء خمسة آخرون مثل مسلم بن عقيل ، وهاني بن عروة ، كما استشهد بعد فاجعة كربلاء عبد الله بن عفيف ، وينبغي ضم هؤلاء إلى أنصار الحسين (عليه السلام) . أمّا أولئك الذين وردوا مع الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء فهم خمسمائة شخص فما فوق ، حتى ذكر بعضهم أنهم بلغوا ألفاً ؛ إلاّ أنهم تفرّقوا عن الحسين (عليه السلام) حين أخبرهم (عليه السلام) بأنه سوف يقتل .

امتحان أصحاب الحسين (ع)

روي عن سكينة بنت الحسين (عليه السلام) أنها قالت : سمعت أبي يقول لأصحابه : كل من يكره نصرتنا فليذهب في هذه الليلة الساترة ، ومن نصرنا بنفسه معنا في الدرجات العالية من الجنان . . .

قالت سكينة : «والله ما أتم أبي كلامه إلاّ تفرّق القوم من نحو عشرة وعشرين ، فلم يبق معه إلاّ ما ينقص عن الثمانين ويزيد عن السبعين »[1] .

ثمانية عشر من هؤلاء هم بنو هاشم وقرابة الحسين (عليه السلام) من إخوته وأولاده ، واثنان وثلاثون التحقوا في تلك الليلة بالحسين (عليه السلام) من جيش ابن سعد، والباقي ـ وهم ثلاثة وعشرون ـ هم أنصار الحسين (عليه السلام) الأوفياء، الذين جاءت في حقهم أجمل

---

(١) أسرار الشهادة .

التعـابيـر العجيبـة عن الـرسـول (صلى الله عليـه وآلـه) وعلي (عليه السلام) .

أوفى الأصحاب

ورد عن رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه) وعن أميـر المؤمنين (عليـه السـلام) وعن أهـل البيت (عليهم السـلام) عبـارات محيّـرة للعقـول حول أنصـار الحسين (عليـه السـلام) . منهـا كلمـة الإمـام الحسين (عليه السلام) بحقهم حيث قال (عليه السلام) :

« أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي » يعني أنهم أفضل من شهداء بدر وأحد وأصحـاب الرسـول (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن أصحاب الأنبياء السابقين ، وحقاً إن أصحاب الرسول (صلى الله عليـه وآله) وأصحـاب علي (عليـه السـلام) لم يكـونـوا كذلك . وقال (عليه السلام) :

« ولا أهـل بيت أبـرّ ولا أوصـل من أهل بيتي . فجـزاكم الله عني جميعاً » فأي أخٍ مثـل قمر بني هـاشم ، وأي ابن أخ مثل القـاسم بن الحسن (عليـه السـلام) ، وأي ابن مثـل علي الأكبـر يفـدونـه (عليه السلام) بأنفسهم الأخ ، والعم ، والأب .

دخلوا المعركة وهم يعلمون بالقتل

ذكـر بعض شراح الحـديث أن لكـل نبي أصحـابـاً وأهـل بيت ، خاضوا معه المعارك لما أمر بالقتـال وبالطبـع فليس جميع الأنبيـاء قد

أمروا بالقتال كما أمر موسى (عليه السلام) وداود وخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) .

واحد في مقابل ألف

أي نبي وأي إمام كان عدد أصحابه وأهل بيته يبلغ واحداً في مقابل ألف من الأعداء ؟ والحال أن أصحاب الحسين (عليه السلام) كلهم كانوا اثنين وسبعين في قبال قوم ذكر أنهم ثلاثون ألفاً إلى مائة واثنين وعشرين ألفاً ، بل ذكر أنهم أربعمائة ألف .

ولما علموا ـ يقيناً ـ أن الحسين (عليه السلام) سوف يقتل أيضاً ، استعدوا للقتل قبله (عليه السلام) حتى يلتحق بهم هو (عليه السلام) بعد دقائق .

بماذا يمكن أن نفسّر ذلك سوى بشدّة المحبة ؟ .

وبعبارة أخرى : إن المحبة التي تجاوزت الحدود الاعتيادية هي التي دفعتهم لأن لا يتركوا الحسين (عليه السلام) وحيداً ويضحّوا دونه ؛ مع علمهم بأن نصرتهم له لا تدفع عنه القتل .

أسود تحمل على ثعالب

بعد أحداث كربلاء قيل لرجل شهد الطف مع ابن سعد : ويحك أقتلتم ذرّية الرسول (صلى الله عليه وآله) ؟

فقال : عضضت بالجندل ، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا . ثارت علينا عصابة أيديها على مقابض سيوفها كالأسود الضارية

تحـطّم الفرسـان يميناً وشمـالاً ، تلقي نفسها على المـوت ، لا تقبـل الأمـان ولا ترغب في المـال ، ولا يحول حـائل بينهـا وبين المنيـة أو الاستيـلاء على الملك ، فلو كففنـا عنهـا رويـداً لأتت على نفـوس المعسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين ؟ لا أم لك .

الألقاب الجميلة لأصحاب الحسين (ع)

لقـد وصل أصحـاب الحسين (عليه السـلام) إلى أعلى درجات الحب .

وحقاً إن الألقاب والعناوين التي ذكرت في حق هؤلاء العظماء في الزيارة تليق بهم .

« السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه » .

« السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه » .

هم حقاً أحباء الله وأولياؤه .

وفيما يلي ننوّر مجلسنا بذكر بعضهم .

الحجاج مؤذّن الحسين (ع)

من أوائـل من التحق بالحسين (عليـه السلام) ، ضـارباً عـرض الحـائط العـلائق المـاديـة ، الحجـاج بن مسعـود مؤذن الحسين (عليه السلام) الذي صرف النظر عن المال والنفس والأولاد والزوجة والمنزل والحياة ، ووصل إلى الحسين (عليه السلام) وهو في مكة ، وظل ملازماً له حتى نال الشهادة بين يديه في كربلاء .

برير من مشايخ الكوفة

بـرير من مشـايخ الكـوفة ، ومن العلمـاء العظمـاء ، وكان رجـلاً مشهوراً معروفـاً . وكان يلقّب بـ (سيـد القرّاء) ، وكـان مقدّمـاً على كثيرين في تفسير وتدريس القرآن المجيد ، حيث كان يدّرس القرآن في مسجد الكوفة .

بـريـر من أولئـك الـذين صحبـوا الإمـام علي بن أبي طـالب (عليه السلام) ، وهو ممّن صلى صلاة الصبح بوضـوء صلاة العشـاء مـدة أربعين عامـاً ، يعني أنـه كـان يحيي الليـل بـالعبـادة حتى يصله بالصبح .

إذن ، كم كان أكله قليلاً بحيث لا يتطلب منه تجـديد الـوضوء . ولقد ذكروا في شرح أحواله أنه في بعض الليالي يختم القرآن تلاوة . وله كتاب في القضاء الإسلامي كان مورداً لاستفادة الفقهاء .

برير يعدّ من الرواة المعتبرين ، وقد روى عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن الإمام المجتبى (عليه السلام) .

وقد عبّر عنه بعض مؤرّخي العامة بـ (الشيخ الزاهد) .

خطبة الحسين (ع) بعد نزوله كربلاء

حين سمع هذا الرجل العظيم أن الحسين (عليه السلام) في مكة المعـظمة لائـذ ببيت الله ، طوى بسـاطه وجـاء إلى مكة ، وبقي معـه (عليه السلام) . وكان له مواقف طيبة نذكر بعضها معه ـ إن شاء الله .

حين وصل ركب الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء ، ووقف جيش الحر أمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه ، وعرف أن جيشاً من الكوفة هو في طريقه إلى كربلاء ، أصبح الأمر واضحاً ، وبات معلوماً أن الحسين (عليه السلام) وأصحابه سيقتلون .

جمع الحسين (عليه السلام) أصحابه وخطبهم فقال :

« الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معائشهم ، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون » .

ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله وقال :

« أمّا بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل » .

إهمال الحق ورواج الباطل

وأنتم يا من بلغتم سنّ الحسين (عليه السلام) ـ وعمر الحسين (عليه السلام) سبع وخمسون سنة ـ لم يبق من عمركم شيء ، ما بقي من عمركم مشكوك ـ وفجأة يرتفع الصوت: مات فلان[1] . وما أكثر المشاكل والصعوبات إلى ذلك الحين ، وما أكثر الغصص والبليات في هذه الأيام الباقية من العمر .

إلى أن قال (عليه السلام) :

---

(١) شطر لبيت شعري باللغة الفارسية .

« ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنـه ؟
ب المؤمن في لقاء الله فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مـع
مين إلاّ بَرَما » .

نهادة أفضل من الخلود في الدنيا

وحين عرف الأصحاب مغزى كلام الحسين (عليه السلام) كـان
، من قام منهم خطيباً برير فقد قال :

« سمعنا يا بـن رسول الله مقالتك ، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنّـا
بها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها »[1] .

آسف أن ليس لي نفس ثانية فأفديها بين يديك

وقام زهير فقال :

« يابن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك ، تقطع
فيك أعضاؤنا ، ثم يكون جدّك شفيعنا يـوم القيامـة » حقاً ، لقـد سَـرّ
هؤلاء الأصحـاب الأوفياء بكـلامهم قلب الحسين (عليـه السـلام) ،
وكيف لا يُسـر قلبه وهـو في تلك البيداء وقـد اجتمعت عليـه وحـوش
مفترسة فتّاكة ، بينما أصحابه الملائكيون في صفاتهم ، وهـم يتكلمـون
بتلك الكلمات ؟

---

(١) هذا القول منسوب إلى زهير بن القين كما أن ما نسبه المؤلف ـ بعد سطور ـ إلى زهير منسـوب في بعض كتب المقاتـل إلى بريـر ، راجـع في ذلـك مقتـل الحسين (عليه السلام) للمقرّم .

مكالمة برير لابن سعد

ولنعد مرّة أخرى للحديث عن مواقف برير وإبدائه المحبة للحسين (عليه السلام) :

في ظهر يوم العاشر أقبل برير وقال : يابن رسول الله أتأذن لي أن أدخل إلى خيمة هذا الفاسق عمر بن سعد فأعظه ولعله يرجع عن غيّه ، فقال الحسين (عليه السلام) : افعل ما أحببت . فأقبل برير حتى دخل على عمر بن سعد فجلس معه ولم يسلّم عليه ، فغضب ابن سعد وقال له : يا أخا همدان ما الذي منعك من السلام عليّ ؟ ألست مسلماً أعرف الله ورسوله ؟ فقال له برير : لو كنت مسلماً تعرف الله ورسوله ما خرجت على عترة نبيّك محمد (صلى الله عليه وآله) ، تريد قتلهم وسبيهم ، وبعد فهذا ماء الفرات يلوح بصفائه يتلألأ تشرب منه الكلاب والخنازير ، وهذا الحسين بن فاطمة الزهراء ونساؤه وعياله وأطفاله يموتون عطاشى ، قد حُلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وتزعم أنك تعرف الله ورسوله ؟

قال : فأطرق عمر بن سعد رأسه إلى الأرض ساعة ثم قال : يا برير إني لأعلم علماً يقيناً أن كل من قاتلهم وغصب حقّهم مخلّد في النار لا محالة ، ولكن يا برير أتشير عليّ أن أترك ولاية الريّ فتصير لغيري ؟ والله ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً .

قال : فرجع برير إلى الحسين (عليه السلام) فقال له بأن عمر بن سعد قد رضي لقتلك بولاية الريّ ، فقال (عليه السلام) : لا يأكل من

برّها إلاّ قليلاً ، ويذبح على فراشه[1] .

مباهلة برير يوم العاشر

نادى يزيد بن معقل، وهو من جنود ابن سعد : يا برير كيف ترى صنع الله بك ؟

فقال برير : صنع الله بي خيراً وصنع بك شراً .

فقال يزيد : كذبت ،وقبل اليوم ما كنت كذاباً ، أتذكر يوم كنتُ أماشيك في بني لوذان وأنت تقول : كان معاوية ضالاً وإن إمام الهدى علي بن أبي طالب ؟

قال برير : بلى أشهد أن هذا رأيي .

فقال يزيد : وأنا أشهد أنك من الضالين .

فدعاه برير إلى المباهلة ، فرفعا أيديهما إلى الله سبحانه يدعوانه أن يعلن الكاذب ويقتله ،ثم تضاربا، فضربه برير على رأسه ضربة قدّت المغفر والدماغ فخرّ كأنما هوى من شاهق،وسيف برير ثابت في رأسه .

حبّ المال والرئاسة يعمي ويصمّ

ولكن هل تنفع هذه الآيات والبيّنات ذوي القلوب السوداء[2] .

---

(١) أسرار الشهادة .

(٢) نفس المهموم .

برسية دل جه سود خواندن وعظ   نــرود ميــخ آهنـين در سنــك

ماذا تنفع الموعظة ذوي القلوب السوداء ؟

إن المسمار الحديدي لا يمضي في الحجر !

لقد أعماهم وأصمّهم حُبّ المال والرئاسة

بعد وصول الحسين (عليه السلام) إلى كـربلاء جمـع ابن زياد الناس في جامع الكوفة فقال :

«أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون ، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه حسن السيرة ، محمود الطريقة ، محسناً إلى الرعية ، يعطي العطاء في حقه . . . وقد زادكم في أرزاقكم مـائة مـائة ، وأمـرني أن أوفرهـا عليكم ، وأخرجكم إلى حـرب عدوه الحسين فاسمعوا له وأطيعوا » ثم نزل ووفر العطاء . حتى ورد أنهم كانوا يـدخرون ـ لمـدة عشرين عـاماً ـ ثمـاني عشرة خـزانة في السنـة . ثم أخرجوا جميع ذلك لمن يذهب لحرب الحسين (عليه السلام) . أجل إنه امتحان .

أولئك عبيد الدنيا وعشاقها تعشق قلوبهم بهارج الدنيا وزخارفها ، أمّـا أصحـاب الحسين (عليــه الســلام) فــإنهم وقفـوا رجــالاً أمـام الشهوات .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع

أحباء الله وأودّاؤه

فوائد ذكر أصحاب الحسين (ع)

في الليلة الماضية استعرضنا شطراً من حالات بعض أصحاب الحسين (عليه السلام) ، وفي هذه الليلة نواصل الحديث عن ذلك ، إلّا أننا نشير قبلاً إلى خواص هذا البحث ، أعني الفائدة المترتبة على ذكرهم .

أولاً : أصحاب الحسين (عليه السلام) بدون شك هم من أولياء الله ، وقد سبق أن عرضنا رواية تقول: إن رحمة الله تنزل عند ذكر الصالحين ، وعلى ذلك فإن نفس ذكر هؤلاء العظماء يوجب نزول الرحمة .

ثانياً : إن أصحاب الحسين (عليه السلام) ، هم من الرجال

العظماء الـذين أسدوا خـدمات كبـرى للإسـلام ، ومن هنا فـإن إحياء ذكرهم وأسمائهم هـو من لوازم الإيمـان لكل من لـه محبة لأهـل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) .

طريقة القرآن في ذكر الصالحين

إن على المؤمنين اتباع طريقة القرآن في هذا المجـال ، فالقـرآن يـذكر مـراراً الأنبيـاء المـاضين ، وأنصـارهم ، وأهـل بيتهم ، ويعـدّد خدماتهم .

لـذا على المؤمنين أيضاً الاعتـزاز بـذكـر أصحـاب الحسين (عليه السلام) وذكر خدماتهم .

إن ذكر محبوب الله ذكر لله .

« السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه » .

« السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه » .

درس في عالم المحبة

ومن جهة أخرى فإن ذكر حالات أصحاب الحسين (عليه السلام) هو درس للمحبين ، فلو أراد الطالبون لمقام المحبة أن يحشروا أنفسهم في هذا المضمار دون أن يعرفوا طـريق الحب ما هـو ، وما هـو طريق العشق والتفاني ، فإن عليهم النظر في أقوال وأحوال هؤلاء الأصحاب الفدائيين للحسين (عليه السلام) ليتّخذوا منهم قدوة وأسوة لأنفسهم ،

وحينئذٍ سيعرفون أنه بمجرد الهوى وحده لا يمكن أن يصير الإنسان محباً للحسين (عليه السلام) .

ليس العشق لهواً ولعباً

إن جميع الكلمات ترجع إلى مقام المحبة ، حتى لقد صرّح علماء الأخلاق أن كل صفة كمالية إنما هي مقدمة للوصول إلى مقام المحبة أو هي ثمرة من ثمرات شجرة المحبة الطيبة .

والخلاصة أن أساس الإنسانية بالمحبة ، فمن وصل إلى مقام الحبّ توفّرت عنده جميع صفات الكمال من قبيل الرضا ، التسليم ، الصبر ، الكرم ، الفتوّة ، العفو ، حيث إن جميع هذه الصفات هي من آثار المحبة .

بذل الروح في طريق المحبوب سهل

إذا وصل الشخص إلى مقام المحبة فإنه سيترك كل شيء في سبيلً محبوبه .

إنّ أعزّ شيء عند الإنسان روحه ، والمحب مستعد للتخلي عنها في سبيل محبوبه .

والنموذج الأكمل للمحبّين أصحاب الحسين (عليه السلام). فرغم أنهم يعلمون بأن الحسين مقتول على كل حال سواءً ضحّوا دونه أم لا فقد جسّدوا أي عشق وأية علاقة !؟ .

زيارة الناحية المقدسة وأسماء الأصحاب

أحد هؤلاء العظماء الذين أبدوا محبة عجيبة للحسين (عليه السلام) ، وكان نموذجاً في الأقوال والأفعال هو « بشر الحضرمي » الذي ورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة .

زيارة الناحية هي الزيارة المروّية عن الإمام المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) ، وحين يكون وضعك مهيّأً اقرأها بأنين .

وفي هذه الزيارة الشريفة ذكر (عليه السلام) أسماء جميع شهداء كربلاء وأوصافهم ، وسلّم عليهم ، وذكر أسماء قاتلي كل واحد منهم ولعنهم .

وقد نقل السيد ابن طاوس في كتاب الإقبال زيارة أخرى ليوم عاشوراء ، وذكر فيها مفصلاً أعمال وأقوال أصحاب الحسين (عليه السلام) .

على أي حال ، كان بشر الحضرمي من أصحاب الإمام أمير المؤمنين المتعلقين به ، وكان من شجعان زمانه ،وكان له فوق ذاك أبناء يشتركون في الفتوحات الإسلاميّة ويقاتلون ببطولة ، حتى نقلت عنهم أخبار كثيرة في تاريخ الإسلام .

حين سمع بشر أن الحسين (عليه السلام) متّجه إلى كربلاء أسرع في الالتحاق به ، وظل مع الحسين (عليه السلام) حتى تعرّض في ليلة عاشوراء إلى امتحان عجيب .

ولده أسير وعائلته قلقة

لما جمع الحسين (عليه السلام) أصحابه ليلة عاشوراء وخطبهم قائلاً : « هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً ، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً خيراً ، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم فإن القوم يطلبونني » .

أقبل رجل من الكوفة يسأل عن بشر الحضرمي فلما وجده قال : إني رسول إليك من ولدك وزوجتك . . لقد أسر ابنك محمد بينما بقي ولدك وأهلك في حال مضطرب ، وقد أرسلوني إليك لتقدم إليهم وتعمل في فكاك ولدك .

أأترك الحسين (ع) لنجاة ولدي ؟

إلا أن بشراً قال لهذا الرسول : أأترك الحسين (عليه السلام) من أجل فكاك ولدي ؟ ولماذا أريد الولد ؟ وكيف آتي ؟

ثم قال « إني أحتسبه ونفسي عند الله » .

« ما أحب أن يؤسر ابني وأنا أبقى حيّاً بعده » .

يجب أن نلاحظ الجانب الإيجابي في القصة .

فمقصوده من هذه الكلمات أن عدم مجيئي وعدم عملي في فكاك ولدي ليس من جهة عدم محبتي له ، بل إني لا أحب أن أبقى حيّاً وابتلى بفراقه ، إنما علاقتي بالحسين هي التي تمنعني .

أين العلاقة بالحسين (عليه السلام) وأين العلاقة بالأولاد !؟

كيف أترك فلذة كبد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأذهب لفكاك ولدي ؟

الحسين (ع) يتأثر لتأثر أصحابه

لم يكن بشر راغباً أن يصل الخبر إلى مسامع الحسين (عليه السلام) ، لأن العلاقة بينه وبين الحسين (عليه السلام) هي علاقة محبة متبادلة ، وحين يعرف الحسين (عليه السلام) بتأثر أحد أصحابه فإنه (عليه السلام) يتأثر له أيضاً .

ومع ذلك سمع الحسين (عليه السلام) بالخبر ، ودعا بشراً وسأله عنه فنقله له .

فقال له الحسين (عليه السلام) : أنت في حلّ من بيعتي فاعمل في فكاك ولدك .

الرعيّة أمام السلطان الحقيقي

ما هو جواب بشر للحسين (عليه السلام) ؟ والحسين هو السلطان الحقيقي الذي يعلم ما في أعماق القلب ، ولا تنفع معه المجاملة والتظاهر الكاذب ، وبشر هو الرعيّة الذي وقف الآن أمام السلطان الحقيقي والمحبوب الواقعي .

قال له جواباً ينطلق من قلب متحرّق ، وعالمٍ مفعم بالمحبة والشفقة .

كيف أقطع قلبي عنك ؟

ينقل السيد ابن طاوس أن بشراً قال للحسين (عليه السلام) :

« لا والله لا أفعل ذلك ، أكلتني السباع حيّاً إن أنا فارقتك » لئن ابتعدت عنك بجسدي فإن قلبي عندك ، وسأبقى أسأل عن خبركم ، جالساً في مَدخل الكوفة .

كيف أذهب عنك مع قلة أنصارك

ومع قلة أنصارك كيف أذهب عنك .

أنت غريب ، لا معين لك .

بأبي أنتم وأمي ، حقاً ، من الجدير بأصحاب المحبة أن يقفوا أمام قبور هؤلاء الأولياء ويقولوا بأبي أنتم وأمي ، فأي جواهر كانوا !؟؟ فدعا له الحسين (عليه السلام) ، ولم يكن ليعتني به لو علم أنه لم يقل ذلك الكلام من صميم قلبه ، فهو (عليه السلام) ينظر إلى قلب صاحبه .

وأذن له أن يبقى معه وقال : إذن أعط ابنك هذه الأثواب الخمسة ليعمل في فكاك أخيه ، وكان قيمتها ألف دينار .

صلى الله عليك يا أبا عبد الله الحسين الشهيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الخامس

موقف الحر مدرسة

تفاضل أصحاب الحسين (ع) بعضهم على بعض

يقول الشيخ الشوشتري عليه الرحمة في الحديث عن أصحاب الحسين (عليه السلام) : إنه لا يمكن الحديث فيما يتعلّق بأفضلية بعضهم على بعض ، وهذا الموضوع شبيه بموضوع مصائب الحسين (عليه السلام) حيث لا تمكن معرفة أيها أشد من الأخرى .

فضائل أصحاب الحسين (عليه السلام) أيضاً كذلك، فلا يمكن الحديث في أيهم أفضل .

الشهادة مع الحسين (ع) هي الفضيلة المشتركة

يقول الشيخ الشوشتري : إن هناك فضائل مشتركة بينهم إلّا أن

الشهـادة مع ابن رسـول الله (صلى الله عليه وآلـه) هي الفضيلة التي يتساوون فيها بدءاً بقمر بني هاشـم وحتى غلام الحسين (عليه السلام) الأسود ، فهـم مشتركون من ناحية المواساة والإيثار والتفاني ، وإن كان لكل واحد منهـم فضيلة أخرى خاصّة به تستطيع القـول إنه من جهتهـا أفضل من الباقين ، إلا أن النظر إلى جهة أخرى في غيره يجعلنا نتردد في ذلك .

الحر لم يأت بهدف قتال الحسين (ع)

رغم أن الحر بن يزيد الرياحي ارتكب ذنباً عظيماً جداً ، إلّا أن مهمته حين خرج من الكوفة نحو الحسين (عليه السلام) هي أن يأتي به إلى الكوفة ويضع يده بيد ابن زياد ، ومهما كان هذا الذنب عـظيماً إلاّ أن النـظر إلى أدب الحر مـع الحسين (عليـه السـلام) يجعـل المسـألـة محيّرة ، فرغم أن الحر كان رئيساً لألف رجل مسلّح ، نراه يخضع أمام الحسين (عليه السلام) ويتواضع ، وحقاً ـ ما يقال في المثل ـ أن سنة الخير تعرف من ربيعها .

جيش الحر يصلي جماعة بإمامة الحسين (ع)

حين قال الحسين (عليه السلام) للحر عندما حلّ وقت الصلاة : أتصلي بأصحابك ؟

قال الحر : لا ، بل نصلي جميعاً بصلاتك .

إن هذا التأدّب من الحر يدل على حسن ذاته ، وأنه لم يكن خبيث السريرة وإن ارتكب عملاً قبيحاً .

وصلى هو وصحبه خلف أبي عبد الله (عليه السلام) ، وبقوا حتى وقت صلاة العصر ، وصلوا العصر أيضاً بإمامة الحسين (عليه السلام) .

خطبة الحسين (ع) ومكالمته الحر

ثم إن الحسين (عليه السلام) خطب في الحر وأصحابه بعد الصلاة فقال في جملة ما قال :

« إنها معذرة إلى الله عزّ وجل وإليكم ، وإني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت بها عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام . . فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم ، وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم » ؟ .

فقال الحر : ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها ، فأمر الحسين (عليه السلام) عقبة بن سمعان فأخرج خرجين مملوءين كتباً .

ثم إن الحسين (عليه السلام) نهض ليرجع هو وأصحابه إلى المدينة ، فمانعه الحر من ذلك قائلاً : « إني أمرت أن لا أفارقك إذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد » .

فقال الحسين (عليه السلام) : « الموت أدنى إليك من ذلك » .

ومرة أخرى أمر الحسين (عليه السلام) أصحابه بالركوب وركبت النساء فحال الحر بينهم وبين ذلك فقال الحسين (عليه السلام) للحر « ثكلتك أمك ما تريد منا ؟ » .

هنا لاحظوا آداب الحر ، إذ لم يجب الحسين (عليه السلام) بالمثل وإنما قال :

« أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذا الحال ما تركت دكر أمه بالثكل كائناً من كان ، والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلّا بأحسن ما نقدر عليه » .

لقد كان الحرب مذنباً ، إلّا أنه ذنب عارض وليس خبثاً ذاتياً ، ولو كان الخبث ذاتياً فلا علاج له .

أنتظر القرار

وأخيراً اتفق مع الحسين (عليه السلام) على أن يأخذ طريقاً نصفاً « لا يدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد » .

لم يكن الحر معتقداً أنهم سوف يقاتلون الحسين (عليه السلام) كما وقع يوم عاشوراء ، ولكن حين رأى الأمر جديّاً أقبل إلى ابن سعد قائلاً :

« أمقاتل أنت هذا الرجل » .

فقال ابن سعد : « أي والله قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي » .

لم يوافقوا على مقترحات الحسين (ع)

فقال له الحر : ما لكم فيما عرضه عليكم من الخصال ؟

قال وما هي ؟

قال : تتركونه يذهب في بلاد الله العريضة ، أو يرجع إلى المدينة ، أو تتركوه يشرب من ماء الفرات !!

كل إنسان يملك وجداناً يقبل واحداً من هذه الاقتراحات التي ذكرها (عليه السلام) ليتم الحجة عليهم .

إلّا أن ابن سعد قال في جواب الحر : لو كان الأمر إليّ لقبلت ؛ ولكن أميرك أبى ذلك .

الحر يرتعد

فرجع الحر إلى مكانه ، وكان أميراً على أربعة آلاف ، ألف معه من قبل ثم أضيف إليهم ثلاثة آلاف .

لقد كان من شجعان زمانه ، بل لقد قيل إنه لم يكن في الكوفة أشجع منه .

قال له المهاجر بن أوس : أتريد أن تحمل ؟ فسكت وأخذته الرعدة !! يقول الشيخ الشوشتري : « صحيح أن كل واحد من أصحاب الحسين (عليه السلام) كان يختص بفضيلة ، ولا أريد أن أقول إن الحر مثل حبيب بن مظاهر وبرير أم أفضل » .

لقد كان حبيب يحمل علم المنايا والبلايا ، وكان من العلماء والفقهاء ، ومن خواص أصحاب علي (ع) .

مكالمة ميثم مع حبيب بن مظاهر

روى عن فضيل بن الزبير قال : مرّ ميثم على فرس لـه فاستقبـل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسـد فتحدثـا حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، ثم قال حبيب ـ وكان له علم المنايا والبلايا ـ : كـأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حب أهل بيت نبيّه ، ويبقر بطنه على الخشبة ـ وكان ذلك إشارة إلى ميثم وما يجري عليه في الكـوفة ـ فقـال ميثم : وإني لأعرف رجـلاً أحمـر لـه ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه فيقتل ويجال برأسه بالكـوفة ، ثم افترقا. فقال أهل المجلس ما رأينا أحداً أكذب من هذين. قال : فلم يتفـرّق أهل المجلس حتى أقبـل رشيد الهجـري فطلبهمـا فسأل أهـل المجلس عنهما فقالوا افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد : رحم الله ميثماً نسيَ ، ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم . ثم أدبر ، فقال القوم : هذا والله أكذبهم ، قال القوم : فما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا كل ما قالوا[1] .

قيمة ارتعاد الحر

يقول الشيخ الشوشتري : لا أريد أن أقول إن الحر الريـاحي مثل حبيب بن مظاهر ، ولكن إذا كان لحبيب تلك الفضيلة فإن للحر فضيلة أخرى ليست أقل منها .

حقاً إن الرعدة التي أصابت بدن الحرّ لهـا قيمة يجب أن نحسب حسابها .

---

(١) رجال الكشي .

إن الرؤساء يفتخر بعضهم على الآخر بـزعامتـه على جمعية ذات عدّة أشخاص قليلين ، ولكن الحر كان رئيساً لجمع عدده أربعة آلاف شخص ، وكان يترقب أن يعلو مقامه وعنوانه إذا عاد إلى الكوفة ـ بعد اشتراكه في حرب الحسين ـ ومع كل ذلك فقد أخذته الرعـدة ، وهذا ينبىء عن إيمان متين .

قال له المهاجر بن أوس وهو يرى الرعدة التي أصابت الحر : لـو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك ؛ فما هذا الـذي أراه منك ؟ فقال الحر : إني أخيّر نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت ، ثم ضرب جواده نحو الحسين والتحق به .

الخجل يجبر الخطيئة

يقول الشيخ : والعمل الثاني الذي صدر من الحر والذي يجبر ذنبه حقيقةً هو تلك الحالة الانفعالية ، والحياء غير العادي الذي غلبه ، فقد وقف أمام الحسين (عليه السلام) وهو يستر وجهه من الخجل ، وبمثل هذا الحال رفع رأسه إلى السماء قائلاً : « اللهم إليك أنيب فتبّ عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيّك » اللهم إنك تعلم أني ما ظننت أن يبلغ بهم الأمر ما بلغ .

وبمثـل هـذا الحـال نـزل عن جـواده وأقبـل نحـو الحسين (عليه السلام) وألقى بنفسه على قدميه .

أنين المذنبين أفضل من التسبيح

إن أوّل ما اعتذر به الحر هو قوله : « والله يا مـولاي ما علمت أن

القـوم يبلغون منـك هذا ، وقـد جئتك تـائباً ممّـا كان مني ومـواسيـك بنفسي . . . فهل من توبة عند ربي » ؟ .

يقول الشيخ الشـوشتري : هـذا هو مـا نقولـه من أن فضيلة الحر ليست أقـل من سائـر الأصحاب ، لأنـه أتى بقلب متحرّق ، والعمـل القلبي له أجر عظيم .

والشاهد على هذا المعنى حديث قدسي شريف يقول :

« أنين المذنبين أحبّ إليّ من تسبيح المسبّحين » .

أجل ؛ أنين التائبين من الذنب أحبّ إلى الله من تسبيح الملائكة .

قبول الحسين (ع) لتوبة الحر

كان قلبه حيّاً .

كان قلبه قطعة نار حتى طفحت عليه رحمة الحسين ولطف بـه ، فقـال له : « إن تبت تـاب الله عليك » وقـال (عليـه السـلام) : « مـا أخطأت أمك إذ سمّتك حراً » .

وأراد الحسين (عليه السلام) أن يحفظه عنده ويجلسه على بساطه فهو ضيفه ، إلاّ أن الحـر اعتذر وقـال : « يا مـولاي أريد أن تـأذن لي بالبراز إلى الميدان فإني أوّل من خرج وأحبّ أن أقتل بين يديك » .

قاتل الحر بكل جهـده

لقد تقدم هذا الأسد الشجاع نحو عسكر ابن سعد ، فـرأى جنوده من قبل أن قائدهم أصبح حسينياً .

ومن هنا فقد دبّروا أنواع الحيل والمكائد ليسقطوه عن فرسه ، حتى رموا فرسه بالنبال وضربوه بالسيوف حتى سقط الجواد ، ونزل عنه الحرّ وقاتلهم راجلاً إلى أن خرّ صريعاً .

الحسين (ع) يضع رأس الحر في حجره

وحين سقط صريعاً نادى : « السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين » .

فأقبل إليه الحسين (عليه السلام) وجلس عنده ، وهو من جملة الأصحاب الذين مشى لمصرعهم الحسين (عليه السلام) ، ووضع رأسه في حجره يمسح الدم عنه ، وبكى عنده .

التوبة تزيد التائب كرامة

كل مذنب مهما كان ذنبه إذا أقبل على ربّه بقلب منكسر فإن الله يفتح له الطريق، بل يزيد في شرفه وكرامته، تماماً على خلاف سلاطين الدنيا ، فإن المقصّر إذا جاء إليهم تائباً فإن أقصى إحسانهم إليه العفو عنه .

أما المذنب الذي يقبل على ربّه ويطلب العفو حقيقةً فإنه يكون كمن لا ذنب له بالأصل « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » بل ـ بالنسبة إلى بعض مراتب التوبة ـ ترتفع درجته فلا يمحى ذنبه فقط وإنما تتحوّل سيئاته إلى حسنات ﴿ **فأولئك يبدّل الله سيئاتهم**

حسنات ﴾[1] .

الاختلاف في بناء قبة على ضريح الحر

ينقل السيد الجزائري ـ وهو المحدّث العظيم الشأن ـ في كتاب (الأنوار النعمانيّة) أن الشاه إسماعيل الصفوي حين زار كربلاء أدخل على قبر الحسين (عليه السلام) وأصحابه عدّة تعميرات .

وصمّم بعد ذلك أن يبني قبر الحر الذي يبعد عن قبر الحسين (عليه السلام) بمسافة فرسخ .

ـ وحول سبب ابتعاد قبر الحر ينقل أن عشيرته حملت جنازته بعد استشهاده ودفنوه في هذا المكان ـ .

أراد الشاه إسماعيل الصفوي أن يبني قبة لضريح الحر ، فقال له بعض المتطفلين إنه ليس للحر ذلك المقام الرفيع حتى تبني له قبة ، وقال بعض آخر إنه حيث كان من أصحاب الحسين (عليه السلام) وقتل في سبيل الحسين (عليه السلام) فمن المناسب أن ترتفع له قبة كباقي الأصحاب .

بدن الحر طري بعد ألف عام

فقال الشاه إسماعيل الصفوي أنا سأختبر الأمر وأحل المشكلة ، وأقبل إلى قبر الحر ، وأمر أن يفتحوا القبر حتى وصلوا إلى الجسد الطاهر فوجدوه بعد ألف عام طريّاً جديداً .

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٧٠ .

ونظروا فإذا رأسه الشريف معصّب بعصابة هي نفس العصابة التي يذكر أرباب المقاتل أن الحسين (عليه السلام) عصّبه بهاليقطع نزف الدم عنه ، وحين دفن الحر لم تفتح تلك العصابة عنه بل دفن معها .

فقال الشاه إسماعيل : افتحوا هذه العصابة لأضعها في كفني تبركاً بها حيث إنها عصابة الحسين (عليه السلام) .

ولكنهم بمجرد أن فتحوا العصابة عاد نزيف الدم حتى ملأ قسماً مما حول القبر ، ولم ينقطع الدم رغم محاولاتهم .

جريان الدم من رأس الحر

اضطروا أن يشدوا العصابة ثانية .

ومرة أخرى أمر إسماعيل الصفوي أن يفتحوا العصابة ، ويشدوا رأسه بعصابة أخرى للشاه إسماعيل ، ولكن الدم جرى ثانية ، فاتضح لهم أن هدية الحسين (عليه السلام) هي التي تقطع نزف الدم عنه؛ وأنه لا بدّ أن يرد المحشر معصباً بهذا التاج الذي توَّجَهُ به الحسين (عليه السلام) فشدوها عليه مرةً أخرى وواروه التراب .

والقبة الموجودة الآن على قبره الشريف هي تلك التي بناها الشاه إسماعيل الصفوي .

قبيلة الشاكري مجّدها أمير المؤمنين (ع)

وكان من جملة أصحاب الحسين (عليه السلام) عابس بن شبيب الشاكري ، فهو ـ مضافاً إلى أنه يُعدّ من شجعان العرب ـ من قبيلة

تفتخر بأنهـا ذات علاقـة بأهـل البيت (عليهم السلام) ، ولقـد بلغت مودّتهم لأمير المؤمنين (عليه السلام) وما أظهروه من الولاء والفداء له (عليه السلام) في معركة صفين حداً قال فيهم (عليه السلام) : لو كان ألف نفـر مثلهم لطهـرت الأرض من الكفر ، ولعبـد الله كما ينبغي أن يُعبد .

فتيان الصبح

كان يلقب عابس وقبيلته بـ (فتيان الصبح) أي أنهم فتيان يشرقون كإشراقـة الشمس صباحـاً ، «كما تـطلع الشمس على من لا مأوى لـه كـذلك هم مـأوى من لا مأوى لـه ، والخلاصـة أنه كـان يقـال لقبيلة الشاكري فتيان الكوفة .

عابس عالم عابد متهجّد بالأسحار

ومن خصائص عابس التي تذكر في كتب الـرجال أنـه كان يحيي الليل بالعبادة ويتهجّد بالأسحار .

كان عالماً خطيباً محدّثاً ، يحدّث الناس في مجالسهم عن فضائل أهل البيت (عليهم السلام) .

ولقـد خـطب هـذا العـظيم في مجلس مسلم بن عقيـل حين ورد الكوفة ، وبعد حوادث الكوفة السريعة التحق عـابس ومعه (شـوذب) ـ وكان أيضاً محدّثاً ومـدرساً عـظيماً ـ بـالحسين (عليه السـلام) حتى دخل معه كربلاء .

مكالمة عابس وشوذب

يوم عاشـوراء حين بلغت المعركـة أوجها ، ونسي الإنسـان نفسه فيها ، والماء منقطع عن الحسين (عليه السلام) وأصحابـه منذ ثـلاثة أيام ، والأبدان مجرّحة ، والقلوب مقطّعة ، وعـابس نفسه ينـزف الدم من جبهته ، التفت عابس إلى رفيقه شوذب في هذا الحال قائلاً : يـا شوذب ما في نفسك أن تصنع ؟

قال : أقاتل معك حتى أقتل فجزاه خيراً ، وقال له تقدم بين يدي أبي عبد الله (عليه السـلام) حتى يحتسبك كما احتسب غيرك، وحتى أحتسبك .

اليوم يوم عمل

ثم قال لرفيقه شوذب من أجل دفعه وتهييجه أكثر : « إن هـذا يوم نطلب فيه الأجر بكل ما نقدر عليه » .

عجيب حقاً ؛ من يحيطه بريق السيوف والرماح كيف تتعلق حواسه بالآخرة والحساب الإلهي .

لوعة جديدة وأجر مضاعف

وهو يعلم أن في كل لوعة تصيبه أجراً ، فرغم علمه بأنه سوف يقتل بعد ساعة يريد أن يصاب بلوعة قتل رفيقه شوذب ليزداد أجره .

وأنتم الآن يـا محبي الحسين (عليـه السـلام) أيضـاً في مجلس تشتركون فيه ، وتتذكرون مصيبة من مصائب الحسين (عليه السـلام)

تتجدد عندكم الحرقة والألم ، لتكونوا أجدر بثواب أكثر .

أنتم أيضاً اذكروا أصحاب الحسين (عليه السلام) واتّخذوا منهم قدوة لكم .

عابس يتحرّق قلبه لفراق شوذب

وأخيراً تقدم شوذب إلى الميدان وقاتل حتى قتل ، وتحرّق له قلب عابس كما كان يتمناه .

عابس عالمٌ ، والعالم الحقيقي يعلم أن العمر ينقضي كما تنقضي الساعة الأخيرة من عمر الإنسان .

إن ساقي الكوثر بكأس واحدة من حوض الكوثر يزيل جميع الآلام كما أن ـ البلسم ـ الذي يوضع على الجرح يزيل جميع الآلام .

ومن هنا فكلما كان القلب أكثر تحرقاً كانت لذة البلسم المداوي ، وكأس الكوثر أكثر .

كلمة عابس أمام الحسين (عليه السلام)

وبعد أن استشهد شوذب لم يطق عابس صبراً ، فأقبل ووقف أمام الحسين (عليه السلام) وتحدث مبتدئاً حديثاً لطيفاً طيّب به قلب الحسين المتحرّق .

فقد قال بلسان جميل بعد السلام على الحسين (عليه السلام) : «ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ منك ، ولو قدرت أن

أدفـع الضيم عنك بشيء أعـز عليّ من نفسي لفعلت » ثم استأذن من الحسين (عليه السلام) فأذن له .

أسد الأسود وسط الثعالب

ثم دخل الميدان، تعلو جبينه الدماء والجراح إثر الحملة السابقة. فنادى أحد أفراد عسكر ابن سعـد : هذا أسـد الأسود هـذا ابن شبيب الشاكري .

ولم يجرؤ أحد على مبارزته، فأهل الكوفة جميعاً يعرفون من هو، وما هي بطولته . فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وشدّ على الناس وهو عريان ، ومع ذلك لم يجرؤ أحد على قتاله حتى صاح عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السادس

السعادة فناء الفاني بالدائم

الجميع طالب سعادة دنيوية أو أخروية

إن جميع أفراد البشر عاملون في طلب السعادة ، فكل من كان بمستوى الإدراك والرشد من البشر هو طالب للسعادة ، إما السعادة الدنيوية وإما السعادة الأخروية وإما هما معاً .

وبعبارة أخرى: إما أن يطمح الإنسان إلى السعادة في أيام هذه الدنيا المعدودة ، أو يطمح إلى السعادة الأبدية الأخروية ولا يعتني بالحياة الدنيا التي تنقضي سريعاً ، وهو يأمل أن تكون ساعة الموت هي أول ساعات سعادته .

والقسم الثالث هم أولئك الذين يطلبون السعادتين ، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

وليس لدينا قسم رابع ، اللهم إلّا الإنسان المجنون ، أمّا العاقل فإنه يطلب السعادة يقيناً .

ضيعوا طريق السعادة

بماذا تتحقق السعادة ؟

الكل يعرف أنها تتحقق بالراحة ، والاستقرار ، مجاذبة الغمّ والهمّ ، وتوفر سائر ما يحتاج إليه الإنسان ، والأمر سواء بالنسبة للسعادة في الدنيا أو السعادة في الآخرة .

إنما الخطأ والاشتباه الذي يقع فيه الناس هو في الطريق لتحصيل السعادة ، فبعض يرى أنها تتحقق بجمع المال ، ويتخيل أن تكديس المال بعضه فوق بعض يوفر له ذلك ، ولكن ما أكبر هذا الاشتباه ، وما أكثر ما جرّت الأموال إلى مزيد من الشقاء والبؤس .

كلما كانت مساحة السطح أوسع كان البَرَد عليها أكثر [١]

إن من يجهد أكثر في تحصيل المال فسيجلب على نفسه المزيد من المشاق والمصائب ، كما ورد في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) : «مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً »[٢] .

---

(١) مثل فارسي ، والبَرَد بمعنى ماء الغمام المتجمد في الهواء البارد يسقط على الأرض على شكل حبوب أو قطع ثلجية خفيفة .

(٢) أصول الكافي .

يتمنى حياة الفقراء

وما أكثر ما رؤي بعض أصحاب الجاه والمال الـذين لم يستفيدوا من أموالهم ، بل واجهوا ـ كما هو الغالب ـ صعوبات بالغة ، يتمنـون منها أن يعيشوا عيشة الفقراء ، ولا يواجهوا تلك المشاكل .

وفي هذه الليلة نستعرض ـ إن شاء الله ـ كلمة جامعة حول حقيقة السعادة .

ما هو متعلق القلب ؟

حقيقة السعادة إنما هي باعتبار ما يتعلق بـه القلب ، فيجب النظر فيما يميل له القلب ويهواه ، هل هو أمر دنيوي فانٍ ، أم هو أمر أخروي باقٍ ؟ فمحور السعادة والشقاء فيما يتعلق به القلب .

فإن كان الميل نحو أمر فانٍ ، وكانت علاقـة القلب بأمـور دنيويـة فذلك الشخص في شقاء ، إذ إن العلاقة بأمر فان زائل لا نتيجة لها ، سـواءً في الدنيا أو في الآخرة ، بل هي تسير بصاحبها نحو الشقاء .

الشقاء الدنيوي عند التعلّق بأمر فانٍ

أما الشقاء في الدنيا ـ بالنسبة لمن يهواها ويتعلّق بهـا ـ فهو بسبب أن من لديه علاقة بالمال أو الجاه يسعى ـ بكل جهد ومشقة ـ لتحقيق ما يهواه ، ثم لا يصل إلى واحد من مائة من مراده ، فهذا هو الشقاء فيها لمن يهواها ويتعلّق بها .

ثانياً حينما يصل إلى يده المال ، فأية مصيبة يذوقها حين يفقد ذلك

المال ويفارقه ، ثم إن فقدان المـال بعد الحصـول عليه أكبـر هماً من تحصيله ، فهو بذلك يتحمل مشاق بالغة في جمعه ،ويتحمـل غصصاً حين يفارقه .

هذا هو الشقاء في الدنيـا لمن له عـلاقة بـالمال أو الشهـرة ، كل بحسب مستواه .

الشقاء بعد الموت لعبّاد الدنيا

وسـاعة الموت أيضاً هي أول الفراق بالنسبة لهذا الشخص ، فهو قد قضى عمراً ملكَ عليه روحه ، وتعلّق به قلبه ، وهو أحياناً ـ والعياذ بالله ـ يموت بشقاءٍ أبدي ، مثال ذلك أنه يموت حين يموت وهو معـادٍ لملَك الموت ، أو معادٍ لله تعالى ،ومبغض له، حيث يعتقد أن الله يريد أن يفصله عن محبوبه .

أسعد الناس هم أكثر الناس قناعة

أما إذا كان القلب ـ وليس اللسان ـ متعلّقاً بأمر باقٍ ، كالله والآخرة وأهل البيت (عليهم السلام) وكل ما كـان مرتبـطاً بالله ـ تعـالى ـ فإن تلك العـلاقة القلبيـة بذلـك الأمر البـاقي الأخروي تـوفـر لـه السعـادة الأبدية ، والسعادة الدنيوية ـ في الحقيقـة ـ إنما هي في القنـاعة وغنى النفس ـ فكلما كان قنوعاً كان سعيداً ، فـالسعادة في الـدنيا ليست في الأموال والقصور ، إنما المال هو القناعـة ، فأسعـد الناس هـم أولئـك الذين يقنعون بما كتب الله قسمة لهم ، والسعداء الحقيقيون هـم أولئك الراضون بقضاء الحق ـ تعالى ـ.

العلاقة القلبية المنجية

أما إذا كانت علاقته القلبيّة ، وكانت أمنيته أن يرى جمال علي (عليه السلام) عند الموت ، وكان رجاؤه أن يكون الموت هو أول ساعات سعادته ، وأن يحشر مع الحسين (عليه السلام) ومع الأخيار الأبرار ، فإن هذا الميل القلبي يثبته في طريق تحصيل هدفه ، وبالتالي فإن هذه العلاقة القلبية تنجيه .

وخلاصة المطلب أنه إذا كانت العلاقة القلبيّة بأمر زائل ، فإن الشخص حينئذٍ قد وقع بذلك في طريق الشقاء ، وإذا كان متعلّق القلب أمراً أخروياً باقياً ـ وهو الله وكل ما يرجع إليه ـ كان الشخص سعيداً .

درجات السعادة بمقدار العلاقة القلبية

وجه الله هم أهل البيت (عليهم السلام) « أين وجه الله الذي إليه يتوّجه الأولياء »[1] وبالطبع فإن مقدار العلاقة ليس بمستوى واحد ، لذا فإن درجات السعادة والشقاء أيضاً ليست بمستوى واحد .

فما أكثر الأشخاص الذين يتعلّق قلبهم بالله بمقدار دانق واحد ، وأمّا الباقي فهو متعلّق بالدنيا ، وهكذا حتى يصل إلى أولئك الأشخاص الذين يتعلّق قلبهم كاملاً بحب الله وأهل البيت (عليهم السلام) ولا اعتناء لهم أصلاً بالدنيا ، سعيدة كانت أم لا !!

---

(١) من دعاء الندبة .

أصحاب الحسين (ع) نموذج رجال الله

بالطبع ، فليس ميسوراً أن يصل الفرد إلى هذه الدرجة ، أما إذا وصل الشخص لهذا المقام فيقيناً يكون الموت هو أول سعادته ، وقد عرّف الله تعالى هؤلاء الرجال فقال : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾[1] .

رجال الله هم أولئك الذين لم تشغلهم الدنيا ، وبهارجها ، ولم يمنعهم كل ذلك عن ذكر الله .

ونجد نموذج ذلك في أصحاب الحسين (عليه السلام) .

---

(١) سورة النور : الآية ٣٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السابع

عطش الحسين ودموع الباكين

ذكر الحسين (ع) عند شرب الماء

جاء في كتاب بحار الأنوار :

« ما من عبد شرب الماء فذكر الحسين (عليه السلام) وأهل بيته ولعن قاتله إلّا كتب الله عزّ وجل له مائة ألف حسنة ، وحطّ عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة »[1] .

وفي هذه الأيام ، وهي أيام انقطاع الماء عن أطفال الحسين ، من الجدير أن نتذكّر عطش الحسين (عليه السلام) وذويه .

---

(١) وسائل الشيعة : كتاب الأطعمة والأشربة .

الإيمان الكامل

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكلون ﴾[1] .

المؤمنون يخافون عند ذكر الله ويرتجفون حتى يصل تصديقهم الجازم إلى درجة الكشف والشهود ، وتحقق العشق والمحبّة .

والدرجات العليا للإيمان هي تلك التي تصل ـ علاوة على اليقين ـ إلى مقام الكشف والشهود ، وتذوُّق طعم الإيمان ، وإدراك لذة العبادة والعمل الصالح ، والخلاصة أنها تصل إلى مقام محبة الله ـ تعالى ـ وبالطبع فليس هذا المقام مما يقال إنما هو مما يدرك .

من كان واصلاً لهذه المقامات أمكن شرحها له ، والأفضل استعراض بعض المصاديق من الذين وصلوا إلى هذه المقامات .

وحيث كنّا في مناسبة محرّم الحرام نتعرّض إلى ذكر ميثم التمّار وهو من صحابة علي (عليه السلام) الذين استشهدوا على يد ابن زياد قبل ورود الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء بعدّة أيام .

على الآخرين أن يسلكوا طريق هؤلاء العظماء

لقد صلب ميثم التمّار قبل ورود الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء بعشرة أيام .

ولم يكن هذا الرجل العظيم وأمثاله مثل رشيد الهجري

---

(٢) سورة الأنفال : الآية ٢ .

وعمرو بن[1] الحمق الخزاعي وغيرهما قد وصلوا إلى هذه الدرجات العالية من الإيمان إلى مستوى الكشف والشهود من بطون أمهاتهم ، بل بمرور الأيام ، وتحمّل المشاق ، وأساس ذلك التمسّك الوثيق بأهل بيت العصمة والطهارة ، فوصلوا إلى هذه المقامات .

والآخرون يستطيعون أن يسلكوا طريقهم ويصلوا إلى مقاماتهم .

الشهادة أقصى أملي

روي في كتاب (نفس المهموم)[1] أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لميثم التمّار :

ألا أبشرك يا ميثم ؟ فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟
قال : بأنك تموت مصلوباً .

فقال : يا مولاي وأنا على فطرة الإسلام ؟
قال : نعم .
فقال ميثم : « إن الشهادة غاية أملي »[2] .

الجهاد في طريق محبة أهل البيت (عليهم السلام)

ومثله رشيد الهجري ، فقد قال له علي (عليه السلام) : يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل عليك دعي بني أمية فقطع يدك ورجليك

---

(١) للشيخ عباس القمي .
(٢) هذا المقطع الأخير لم نجده في المصدر .

ولسانك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين آخر ذلك إلى الجنة ، فقال يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة .

قطع يدي ورجلي ولسان رشيد

وحين جيء به إلى ابن زياد دعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين (عليه السلام) فأبى أن يتبرأ منه ، فقال له ابن زياد ، فبأية ميتة قال لك تموت ؟ فقال له : أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة فلا أبرأ منه فتقطع يدي ورجلي ولساني . فقال : والله لأكذّبن قوله ، قال : فقدموه فقطع يديه ورجليه وترك لسانه .

تقول بنت رشيد : فحملت أطراف يديه ورجليه وقلت: يا أبي هل تجد ألماً لما أصابك؟فقال: لا يا بنيّة إلا كالزحام بين الناس ، فلما احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله فقال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى يوم الساعة. فلما وصل خبر ذلك إلى ابن زياد أمر بقطع لسانه ، فقطع لسانه ، وفارق الدنيا والتحق بمولاه في أوائل الليل .

مكالمة ابن زياد مع ميثم التمّار

ميثم هو من حواريي أمير المؤمنين (عليه السلام) وخلّص أصحابه ، وحين جيء به إلى ابن زياد قال له ابن زياد : أيها الغلام الأعجمي (لأن ميثم كان عبداً أعجمياً اشتراه أمير المؤمنين وأعتقه) لأعاملنّك أشدّ معاملة !

فقال ميثم : ويعاملك الله أشدّ معاملة ، وتحشر يوم القيامة ظالماً .

لقد قال له علي (عليه السلام) يوماً :

إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة : فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً فتخضب لحيتك فانتظر ذلك الخضاب ، فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة ، وأمضِ حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها . فأراه إياها .

وكان ميثم يلقى عمرو بن حريث ويقول له : إني مجاورك فأحسن جواري ، وكان لعمرو دار قريبة من تلك النخلة .

يقول الرواة : إن ميثماً لم يزل يتعاهد تلك النخلة بعد قتل علي (عليه السلام) حتى قطعت ؛ فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتردد إليه ويبصره .

لذكر عطش الحسين (ع) لا أستطيع أن أشرب الماء

عن مسمع بن عبد الملك البصري قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : يا مسمع أنت من أهل العراق ؛ أما تأتي قبر الحسين (عليه السلام) ؛ قلت : لا ، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة ، وعدّونا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم ؛ ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلوا بي .

قال لي : أفما تذكر ما صنع به ؟ .

قلت : نعم ، قال: فتجزع؟ قلت : أي والله وأستعير لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي قال (عليه السلام) : رحم الله دمعتك ، أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا ، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي ووصيتهم ملك الموت بك ، وما يلقونك به من البشارة أفضل، ولملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها .

رحمة الله لدموع الباكين

ثم قال (عليه السلام) : وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلاّ رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه . . .

وإن الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا ورد عليه حتى أنه ليذيقه من ضروب الطعام مالا يشتهي أن يصدر عنه[1] .

وربما يعجب بعض من هذا الثواب في البكاء على الحسين (عليه السلام) وذكره ، والعفو عن ذنوبه ، ونحن في هذه الليلة سنذكر بعض المطالب في الإجابة على هذا التعجب ! .

الشرف خاص بالوجود المطلق

كل الأشياء من الجزئي والكلي ومن العرش إلى الفرش لا شرف لها بحسب ذاتها ، إنما العزّة والشرف هي ملك لله ـ تعالى (هو

(١) كامل الزيارات .

العزيز) وكل ما عداه عاطل وباطل .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[1]

وحتى الملائكة هم كذلك من هذه الجهة ، فلا عزّة ولا شرف لهم بحسب ذاتهم ، إذ الفرع لا يكون أكثر من الأصل ، وهم جميعاً عبيد لله ، وكلهم مخلوقون ومعرضون للموت من ذرّة التراب وإلى عَلَم الأفلاك كلهم سواسية في هذه الجهة .

وبالطبع ، حيث كان الشرف الأصلي لله ـ تعالى ـ فكل موجود انتسب إلى الله كسب من ذلك الشرف ، وكل من كانت نسبته إلى الله أكبر كان شرفه أكثر .

محمد (ص) أشرف الكائنات

لذا فإن الوجود المبارك والذي هو علة الإيجاد وأشرف الكائنات نور محمد (صلى الله عليه وآله) كان أشرف الموجودات لأنه بلغ أعلى مرتبة في الانتساب إلى الله ـ تعالى ـ .

لا يوجد مخلوق أقرب إلى الله ـ تعالى ـ من محمد (صلى الله عليه وآله) ، لذا فإنه لا يوجد أشرف من محمد (صلى الله عليه وآله) ، وشرفه ـ من جهة انتسابه إلى الله ـ موهبة واختيار من عند الله .

﴿ وربّك يخلق ما يشاء ويختار ﴾[1] .

وبعد محمد (صلى الله عليه وآله) تصل النوبة إلى الأنبياء

---

(١) سورة القصص : الآية ٦٨ .

والأولياء ، وبعدهم تصل النوبة للمؤمنين ، لذا فإن درجات الشرف متفاوتة تبعاً للتفاوت في نسبة القرب من الله ـ تعالى ـ .

حرم الكعبة وأرض كربلاء

لا يوجد لدينا أضعف ولا أحقر من التراب ، ولكن هذا التراب ذاته حين ينتسب إلى الله ـ تعالى ـ مثل أرض وتراب مكة المعظّمة الذي اختاره الله ، وبذلك صار حرم الأمان وكان محترماً .

ومثل ذلك بل أفضل منه من بعض الجهات تربة كربلاء[1] ، فهي من جهة أنها تراب كباقي التراب لا قداسة لها من ذاتها ولذا لا مانع من المشي عليها ، إلّا أنه حين يؤخذ منها قبضة تراب بعنوان تربة الحسين (عليه السلام) فإن ذلك يعطيها قيمة خاصة فتحرم إهانتها .

إن قطعة التربة الحسينية هي نفس ذلك التراب حين كان تراباً عادياً ، أما حين أصبحت تربة حسينيّة فقد احتوت على شرف جديد . جديد .

تراب كربلاء في كيس للسجود عليه

جاء في رسالة نجاة العباد أن السجود في الصلاة على تربة الحسين (عليه السلام) يخرق الحجب السبع ، يعني أنه يدفع موانع قبول الصلاة ، فتقبل صلاته ببركة تراب قبر الحسين (عليه السلام) .

لقد وضع الإمام الصادق (عليه السلام) قليلاً من تراب كربلاء في

كيس ، وكـان إذا فرش سجـادة الصلاة يضـع التراب عليهـا للسجـود عليه .

إن جعفر بن محمد (عليه السلام) يتبرّك بهذا التـراب ، إن هذا التراب ـ الذي لا قيمة له ـ حين يكون باسم الحسين (عليه السلام) ، يتحقق له مثل ذلك الشرف .

دموع الباكين على الحسين (ع) تحفظ

من هـو الحسين (عليه السـلام) الذي يحمـل تـراب قبـره هـذا الشرف ؟ إنما ذلك لقربه من الله ، ولأن نسبته إليه تعالى أقوى من نسبة غيره .

هذه مجرد مقدمة عرضناها ، والآن إذا كان هنـاك اعتراض وقـول بأن هذه الدموع على الحسين (عليه السلام) ليست بشيء حتى تعطى مثل هذه الأهميّة قلنا إنها تشبه مسألة التراب .

فمكة معظمة من حيث انتسابهـا إلى الله ـ تعالى ـ وتـربة كـربلاء محترمة وذات أهمية من حيث انتسابها إلى الحسين (عليه السلام) ، حتى ورد في رواية أن الملائكة حين ينزلون إلى الأرض يحملون معهم من تربة الحسين (عليه السلام) هدية لأهل السماء .

نعم ، دموعي ودموعك إذا صبّت باسم الحسين (عليه السلام) ، فإنها محتـرمة تحفـظها المـلائكة ، والمَلَك يمس دمـوع الباكين على الحسين (عليه السلام) .

غصص الأيام ذنب

ما أكثر الذين يبكون على الدنيا من الصباح حتى المساء ، إلاّ أنه لا فائدة في ذلك ، وأحياناً يتجرّع بعضُ الغصص في غير محلّها ، بل إن غصص الأيام تدوّن ضمن ذنوب الشخص ، إذ يُعرف من خلالها أنه غافل عن الله .

إلَّا أن نفس تلك الغصّة إذا كانت لأجل الحسين (عليه السلام) فإن فيها ثواب التسبيح « نَفسَ المهموم لهمنا تسبيح » حيث انطبق عليها عنوان الحسين (عليه السلام) فذلك النَفَس ليس نَفَسك إنما هو نَفَس الحسين (عليه السلام) ، وتلك الدمعة ليست دمعتك إنما هي دمعة الحسين (عليه السلام) وبذلك اتّخذت عنواناً آخر .

تكون ذات شرف بعنوان الحسين (ع)

إن الأنين والضجيج الذي يكون لأجل الحسين (عليه السلام) يكتسب الشرف من الحسين (عليه السلام) ، فما كان للحسين (عليه السلام) من شرف تكسبه تلك الدمعة وذلك الأنين .

هذه اليد التي تلطم على صدرك قائلاً : حسين حسين ، إنما هي مرتبطة بالحسين (عليه السلام) وراجعة إليه ، انظر إلى عظمة المضاف إليه أعني الحسين (عليه السلام) لترى ما الخبر ؟ ماذا صنع الحسين ؟ وماذا أعطاه الله ؟

يقول الشيخ الشوشتري : إن الأجر الذي يعطيه الله تعالى لمن يذكر الحسين (عليه السلام) عند شرب الماء ليس هو بواسطة هذا الذكر ، وليس بواسطة مكافأة الحسين (عليه السلام) على عطشه ، إنما هو من

أجل الخدمات الجليلة التي قدّمها الحسين (عليه السلام) ، فمهما أعطاه الله كان في محلّه ، لأن الحسين (عليه السلام) أعطى كلّ ما يملك لله .

استضافته بذبح الجدي[1] الذي لا يملك سواه

أذكر لكم قصة معروفة حول كرم بعض الكرماء .

يقال إن سلطاناً في سفر له ذهب يطلب صيداً وابتعد عن رفقائه ، ووقف وقد أعياه التعب والجوع والعطش على باب خيمة فقال لصاحب الخيمة : هل لك أن تسقيني الماء ؟ لم يعرفه صاحب الخيمة بوصفه ، ومع ذلك فقد استقبله واحترمه فأدخله داخل الخيمة ،وكان لا يملك سوى جدي فذبحه له .

سأله السلطان عمّا يملك فقال : لا أملك إلاّ هذا الجدي .

سأله السلطان : إذن لمَ ذبحته لي ؟

فقال : لأنك ضيف عندي !!

فعرّفه السلطان بنفسه وطلب منه أن يحضر عنده ليكافئه .

أكافئه ببذل جميع ما أملك له

أقبل الرجل وزوجته إلى السلطان وأدخلوهما عليه ، فالتفت السلطان إلى الحاضرين وعرض لهم قصته معهما وسألهم : بماذا أكافئهما ؟

---

(١) الجدي هو فرخ المعز .

فقال بعضهم : ادفع لهما مائة درهم .
قال السلطان : ذلك ليس بشيء .

والخلاصة أنه كلما قدم بعضهم رأياً رفضه السلطان وأخيراً قال السلطان نفسه : إن هذا الرجل أنفق عليّ جميع ما يملك ، وأنا لا أستطيع مكافأته إلّا إذا أعطيته كل ما أملك ، بما في ذلك الملك والسلطنة .

كرم الكرماء من كرم الله

لا يوجد كرم أكثر من كرم الله ، وكل كريم مهما كان لديه من الكرم فهو من كرم الله .

والحسين (عليه السلام) بذل كل ما يملك في سبيل الله . معاملة الحسين (عليه السلام) مع الله معلومة ، فلم يمتنع حتى من التضحية بولده الرضيع ، بأجزاء بدنه ، بأولاده ، بخيامه ، وحتى بأصبعه وخاتمه فكيف يعامله الله ـ تعالى ـ وهو أكرم الأكرمين .

عطاء الكريم لمن لاذ بكرمه

ينقل الشيخ الشوشتري أن رجلاً حائراً لجأ إلى معن بن زائدة ، وهو من مشهوري كرماء العرب ، إلّا أنه لم يجد عنده ما ينفعه ؛ فكتب على لوح خشبي كان هناك : إنني لذت بكرمك فلم أجد العطاء . وألقى باللوح في الساقية ، وصدفة كان معن بن زائدة جالساً عند تلك الساقية في قصره فجلبت انتباهه تلك الكتابة على اللوح ، فأخذه وقرأ ما فيه

وأرسل للكاتب مائة ألف درهم قائلاً له : احضر عندي غداً ، ولما حضر عنده في الغد أعطاه مائتي ألف درهم وقال له : احضر عندي غداً أيضاً ، فلما حضر عنده في الغد أعطاه ثلاثة آلاف درهم ، وفي اليوم الرابع دفع له أربعمائة ألف قائلاً له : احضر عندي غداً أيضاً .

إلّا أن ذلك لم يحضر بَعد خوفاً أن يسترجعها السلطان منه حيث بلغت مبلغاً كبيراً .

فقال معن : لو جاءني لدفعت له في كل يوم حتى تنفد جميع أموالي . فإنه قد لجأ إلى كرمي .

مكافأة الحسين (ع) على مصيبته

يقول الشيخ : ماذا صنع معن بن زائدة وهو مخلوق عاجز ؟ مع أن كرمه هو من كرم الله .

إذن فلننظر ماذا قدّم الحسين (عليه السلام) في سبيل الله ؟

كم أظهر عظمة الله في خطبه ، في عبادته ، في دعائه ، حتى عندما كان رأسه على الرمح !؟

إن الأجر الذي يعطيه الله لمن يتذكّر مصيبة الحسين (عليه السلام) في أي وقت من الأوقات ، تلك المصائب التي تحرق القلب ، وتنهمر منها الدموع ، هو أجر مصيبة الحسين (عليه السلام) .

وهنا نشير إلى مصيبة واحدة من مصائبه (عليه السلام) لنستحق

نحن أيضاً ذلك الأجر ، وتلك هي مصيبة غربة الحسين وحيرته .

الحسين (ع) مشرّد في الصحاري

أرادوا أن يقتلوا الحسين (عليه السلام) في وطنه في المدينة ، فخرج منها إلى بيت أمن الله ، حيث يأمن كل من يلجأ إليه ، لكنه (عليه السلام) لم يُتْرَكْ هنا ـ أيضاً ـ فقد أرسل يزيد ثلاثة جواسيس أمرهم بقتله أينما وجدوه ؛ حتى إذا كان يطوف ببيت الله .

وفي اليوم الذي يتّجه جميع المسلمين لحرم الله ، خرج الحسين (عليه السلام) من مكّة ، أين يذهب ؟

إنه اضطر ـ حسب الظاهر ـ للتوّجه إلى كربلاء مشرداً في الصحاري ، تعرفون قليلاً أو كثيراً مما جرى على الحسين (عليه السلام) ، فقد اقترح عليه أحد أصحابه أن يذهب إلى اليمن فقال (عليه السلام) : « لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم » .

صلوات الله على من يبكي على الحسين (ع)

والآن إذا تحرّق قلبك لأجل تشريد الحسين (عليه السلام) وجرى دمعك فإن لك البشرى بأجر عظيم ، وهو أجر غربة الحسين (عليه السلام) وليس أجر حرقة القلب ، وجريان الدمع .

يقول الشيخ الشوشتري : يكفي في فضل البكاء على الحسين (عليه السلام) أن الله تعالى يصلي على الباكين على الحسين

(عليه السلام) كما يصلي على النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقد جاء في الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « ألا وصلى الله على الباكين على الحسين (عليه السلام) » .

لاحظوا أن الله تعالى يصلي على الباكين على الحسين (عليه السلام) .

شرف التشبّه بالرسول (ص) وأهل بيته

كما يكفي في شرف الباكي على الحسين (عليه السلام) أنه بذلك شبيه برسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي والزهراء (عليهما السلام) ، وهل يوجد شرف آخر ؟

أنتم الآن إذ صرتم من أهل العزاء على الحسين (عليه السلام) ، ومن الباكين على مصيبة الحسين (عليه السلام) ، أشبهتم بذلك محمداً (صلى الله عليه وآله) وعلياً (عليه السلام) إذ بكيا على الحسين (عليه السلام) لقد وفقنا الله توفيقاً عظيماً في الاستفادة من نعمة هذه الأيام المباركة ، أيام محرّم الحرام ، شهر العزاء على الحسين (عليه السلام) ، أسأل الله أن يديم لنا هذه النعمة لنرفع اسم الحسين (عليه السلام) ، وتلك النعمة عظيمة لنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثامن

يا ليتنا كنّا معكم

« يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً »

نرجو من الله صدق النيّة

لا يمكّن القول إن جميع تمنيات البشر صحيحة ، فمن يقول مثلاً : ليتني أملك مالاً فأصير غنياً ، أو يقول : ليت الله يوفقني لصلاة الليل ، ذلك مجرد أمنية ولكن ليس من المعلوم أنه يصدق في قوله حيث نراه يستيقظ نصف الليل ولكنه لا يؤدّي صلاة الليل .

في الدعاء نقرأ قوله: « اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبُعد المعصية وصدق النيّة » .

وإذا كانت النيّة صادقة في العمل ترتبت عليها آثار عجيبة .

هوى القلب في عمل الغير

لما انتهت معركة الجمل ، وقتل طلحة والزبير وانكسر عسكرهما ، قال بعض الأصحاب لأمير المؤمنين (عليه السلام) : وددت أن أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرَك الله به على أعدائك ، فقال له (عليه السلام) : أهوى أخيك معنا ؟

فقال : نعم .

قال (عليه السلام) : « فقد شهدنا ، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ، ويقوى بهم الإيمان »[1] .

الراضي بعمل قوم شريكهم

ورد عن عطية العوفي قال : خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر الحسين (عليه السلام) فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطىء الفرات فاغتسل ثم ائتزر بإزار وارتدى بآخر ، ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه ، ثم لم يخط خطوة إلّا ذكر الله تعالى . حتى إذا دنا من القبر قال : ألمسنيه ، فألمسته فخر على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فلمّا أفاق قال : يا حسين ثلاثاً ثم قال : حبيب لا يجيب حبيبه . . . ثم جال ببصره حول القبر وقال : السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين (عليه السلام) وأناخت برحله . . . إلى أن قال : والذي بعث محمداً بالحق نبيّاً لقد شاركناكم

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٢ .

فيما دخلتم فيه . قال عطية : قلت له : يا جابر كيف ولم نهبط وادياً ، ولم نعل جبلاً ، ولم نضرب بسيف ، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم وأيتمت أولادهم وأرملت أزواجهم ؟ .

فقال يا عطية سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول : من أحبّ قوماً حشر معهم ، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم ، والذي بعث محمداً بالحق نبيّاً إن نيتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين (عليه السلام) وأصحابه[1] . . .

وبالطبع فإن المقصود هو الرضى الصادق وليس الرضى باللسان فقط .

العمل هو دليل صحة الادّعاء

يقول بعض الناس: لو كنّا في كربلاء في زمن الحسين (عليه السلام) لفعلنا كذا وكنّا كذا ، ولكنهم الآن غير مستعدين للتضحية في سبيل الدين ولو بتحمّل صفعة واحدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كم يوافقون على تحمّل الشدائد ؟

إن من كان صادقاً فهو شريك يقيناً مع الشهداء في أجرهم ، وقد عبّر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذه الحقيقة في خطبة له

---

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى / ٧٤ .

(عليه السلام) في نهج البلاغة بالقول « إنما يجمع الناس الرضى والسخط » .

ورقة من الشجرة الطيبة أو الخبيثة

من رضي بعمل شخص كان شريكه في الأجر ، ومن كان مخالفاً لعمله كان مفصولاً عنه .

وكل الناس يرجعون إمّا إلى الشجرة الطيبة وإما إلى الشجرة الخبيثة .

والشجرة الطيبة هي التي أصلها كلمة « لا إله إلا الله » وولاية محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله) ، وكل من كان راضياً بهذه الكلمة وكان محباً وموالياً لمحمد (صلى الله عليه وآله) وآل محمد (عليهم السلام) فهو ورقة تضاف إلى الشجرة الطيبة، كما أن من كان معادياً لأهل البيت (عليهم السلام) وراضياً بعمل أعدائهم فهو من الشجرة الخبيثة .

شركاء في قتل ناقة ثمود

وهنا قال علي (عليه السلام) :

« أيها الناس إنما يجمع الناس الرضى والسُّخط ، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضى ، فقال سبحانه ﴿ فعقروها فأصبحوا نادمين ﴾[1] .

---

(١) نهج البلاغة / الخطبة ٢٠١ .

أجـل ، إن جميع أهـل البلد أخـذوا من لحمهـا وأكلوه وبـذلـك استحقوا العقوبة .

ولقد أخبرهم النبي صالح (عليه السلام) بأن لونهم سيصفـر في اليـوم الأول ، ثم يحمر في اليـوم الثاني ثم يسـود في اليوم الثـالث ، فسخروا به أول الأمر ؛لكنهم رأوا لونهم قد تغيّر فصار أصفر في اليـوم الأول ثم أحمر في اليوم الثاني ومع ذلك فقد قالوا : ما دمنا أحياء فإننـا سنقتل صالحاً ، ولكنهم لم يظفروا به بعد أن ابتعد عنهم .

وفي اليوم الثالث اسودَّ لونهم ونزل عليهم ثلاثة أنواع من البلاء ، الصيحة ، والصاعقة ، والزلزلة فخسفت بهم الأرض .

لو لم يكونوا راضين لاعترضوا

لقد قال (عليه السلام) : « إنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضى » .

والشاهد على رضاهم بقتل الناقة أنهم جميعاً أكلوا من لحمها ولم يعترض أحد منهم على ذلك العمل ، لم يكن هناك شخص واحد يقول ماذا فعلتم ؟؟

ما عرضناه حتى الآن هو مقدمة للدخول في أصل البحث .

الإغارة على الخيام بعد قتل الحسين (ع)

لقد اجتمع لحرب الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء من ثلاثين ألفاً إلى مائة واثنين وعشرين ألفاً ، وجميع هؤلاء يدخلون في عداد من

باشر في قتل الحسين (عليه السلام) رغم أن القاتل هو الشمر أو خولى أو سنان، ولكن جميع أولئك الذين اشتركوا في حرب الحسين (عليه السلام) شركاء معهم في الجرم حيث كانوا جميعاً راضين بعملهم ،وكانوا مصممين على إراقة دم الحسين (عليه السلام) .

والشاهد على رضاهم بقتل الحسين (عليه السلام) أنهم أغاروا على خيامه بعد قتله واشتغلوا بنهبها .

انتقام كربلا على يد المهدي (عج)

« أين الطالب بدم المقتول بكربلا » .

أجل ، سوف ينتقم إمام الزمان (عليه السلام) من أولاد ومؤيدي بني أمية لما جرى في كربلاء .

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) ضمن حديث طويل :

« إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين (عليه السلام) بفعال آبائها ؟ » .

فسئل الإمام الرضا (عليه السلام) عن ذلك وعن وعن قوله تعالى : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ فقال (عليه السلام) : « صدق الله في جميع أقواله ، ولكن ذراري قتلة الحسين يرضون بفعال آبائهم ، ويفتخرون بها »[١] .

---

(١) بحار الأنوار .

أحفاد الجناة في كربلاء

ينقل عن الشيخ الطوسي قوله : إن عدّة قبائل كانت محترمة في الشام بعد واقعة كربلاء ، ولمدة مديدة كان الخوارج والنواصب المعادون لأهل البيت (عليهم السلام) يحملون لهم الهدايا ، وذلك لأنهم أحفاد أولئك الأشخاص العشرة الذين داسوا صدر الحسين (عليه السلام) وأصحابه بحوافر الخيل ، وهذه القبائل تفتخر بأنها من نسل أولئك الرجال الذين فعلوا مثل ذلك الفعل تنفيذاً لأوامر يزيد .

من يفتخر بقتل الحسين (ع) شريك في الجرم

بالتأكيد فإن مثل هؤلاء الراضين والمفتخرين بقتل الحسين (عليه السلام) يجب أن يقتلوا بسيف صاحب الزمان (عليه السلام) حتى ولو بلغوا مليون شخص أو مائة مليون ؛ ولا إسراف في قتلهم جميعاً .

﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾[٢] .

إن من يفتخر بأنه من نسل قاتل الحسين (عليه السلام) هو مثل قاتل الحسين (عليه السلام) شريك في جريمة القتل .

---

(٢) سورة الإسراء : الآية ٣٣ .

نيّة الخير ونيّة الشر

إلّا أن ههنا سؤالاً يطرح وهو: أن من المسلّمات في الإسلام أن من نوى خيراً ثم لم يفعله كتب له على نيته حسنة واحدة، وإن فعله كتب له في صحيفة أعماله عشر حسنات . وأما في العقاب فالأمر ليس كذلك فمن نوى شراً ـ مثل ما لو نوى أن يرتكب المعصية الفلانية ـ فإن ذلك لا يسجل عليه لمجرّد النيّة ، كما أنه إذا فعله فإن ما يسجل عليه هو سيئة واحدة .

وهنا يأتي السؤال : إن ذرية بني أمية وأولادهم ومواليهم إنما لديهم مجرد نيّة الشر ، وهم وإن رضوا بقتل الحسين (عليه السلام) إلّا إنهم لم يحققوا ذلك في الخارج . إذن فكيف أصبحوا يستحقون عقوبة قتل الحسين (عليه السلام) ؟ وكيف ينتقم إمام الزمان (عليه السلام) منهم كما ورد في الأخبار ؟

أعداء أهل البيت (عليهم السلام) ليسوا مسلمين

الجواب :

إن القاعدة التي ذكرت وهي أن نيّة الخير تكتب حسنة ولا شيء في نيّة الشر ، إن عمل الخير يضاعف ثوابه بعشر حسنات بخلاف عمل الشر فإنه يسجل بواحدة ، إنما ذلك تفضّل من الله ـ تعالى ـ لأمة محمد (صلى الله عليه وآله) ، وذلك شرف للمؤمن أن تكتب له حسنة بمجرد نيّة الخير ، أمّا نيّة الشر من دون أن يتبعها العمل فلا شيء عليها .

أما أحفاد قتلة الحسين (عليه السلام) الراضون بعمل أسلافهم ،

والمفتخرون بقتل الحسين (عليه السلام) فإنهم ليسوا مسلمين ، بـل هـم أشد كفراً من كل كافر ، وأنجس من كل نجس .

إن أعـداء أهـل البيت (عليهم السـلام) هم أخبث من عبّاد الأوثان ، وأخبث من النصارى ، وأخبث من اليهود .

الراضي بقتل الحسين (عليه السلام) كافر مطلق ، ولا توجد أية شبهة في أنه يستحق القتل بيد إمام العصر (عليه السلام) .

ينتقم (ع) من قتلة الحسين (ع) في الرجعة

وأمـا نفس قاتلي الحسين (عليـه السلام) أولئـك الـذين شهـدوا كـربلاء ـ فمـا هو حكمهم ؟ وكـذا ابن زياد ، ويـزيـد الـذين هم قتلة الحسين (عليـه السلام) ، المـروي أنه بعـد ظهـور الإمـام المهـدي (عليه السلام) وقبل قيام القيامة،وهو ما يعبّر عنه بعالم الرجعة، يعود هؤلاء إلى الحياة ويقتلون على يد الإمام علي (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) وصالحي المؤمنين . أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبو عبد الله الحسين (عليه السلام) من جملة آل محمد (عليهم السلام) الذين يعودون للدنيا قبل قيام القيامة حسب الروايات الواردة ، وتنتهي حكومة آل محمد (عليهم السلام) بقيام القيامة .

الرجعة قبل القيامة من الضروريات

الـرجعة من ضـروريات الـدين ، حيث ثبتت بالآيـات القرآنيـة ، وأحـاديث أهل البيت (عليهم السـلام) ، وجاء في الـزيارة الجـامعـة

الكبيرة « وبإيابكم موقن » « ومصدّق برجعتكم » .

والمروي أنه يعود إلى عالم الدنيا الكافر المحض والمؤمن المحض ، ليشهدوا قيام دولة الحق فتكون سبباً في قرة عين المؤمن وراحته ، وعمى الكافر وتعاسته .

وقد يرد هنا سؤال وهو : ما الفرق بين ظهور ولي العصر (عليه السلام) وبين رجعة أهل البيت (عليهم السلام) ؟

لذا نحاول توضيح المطلب بشرح مختصر .

باب التوبة مفتوح زمان الظهور

في زمن الظهور يجب أن يزول الظلم والفسق والفجور طواعية . فباب التوبة مفتوح ومن تاب قبلت توبته وهو إما أن يختار الإسلام وإما أن يُقتل ، والظالم كذلك يستطيع أن يتوب فإن لم يتب فإن السيف يعلو رقبته .

انتشار العلوم ، والحكم حسب الواقع

في زمن ظهور ولي العصر (عليه السلام) ، تكون الأحكام طبقاً للواقع لا لما هو الظاهر ، أي إن إمام الزمان يعرف باطن الأشخاص ، وينظر في حقيقتهم فيقبل من كان إيمانه حقيقياً . ويزداد علم الناس في ذلك الزمان ، ذلك أن مجموع العلوم خمسة وعشرون حرفاً ، حرفان منها اتضحا للناس من أول الخلقة وإلى زمان الظهور ، والبقية يعرفها الناس في ذلك الزمان .

يصل تطوّر العلوم إلى حدّ أن المسافر يستطيع أن يرى أهله وأولاده ويتكلم معهم في أي وقت أراد .

يقول الإمام (عليه السلام) : إن النساء في زمن ظهور ولي العصر (عليه السلام) عابدات عالمات بالكتاب والسنّة ، وبعد انتهاء حكومة ولي العصر (عليه السلام) يبدأ أول زمان الرجعة .

الرجعة للمؤمن نوع من الثواب

الرجعة هي نموذج من القيامة ، ونوع من الثواب والعقاب ، بالطبع ليس الثواب والعقاب الأخروي .

فمن لم يكن مؤمناً قبل الرجعة فلا فائدة في إيمانه زمن الرجعة كما أشير إلى ذلك في القرآن المجيد ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، قل انتظروا إنا منتظرون** ﴾[1] وفي زمن الرجعة إنما يرجع إلى الدنيا المؤمن المحض ليكون الثواب من نصيبه ؛ والثواب هو راحة قلبه حين يرى حكومة أهل البيت (عليهم السلام) .

الرجعة للظالمين عذاب

في كتاب (حق اليقين) للعلامة المجلسي نقل ما يقرب من عشرين حديثاً في باب الرجعة ، وبالخصوص حديث المفضل الذي ذكر الإمام الصادق (عليه السلام) فيه تفاصيل الرجعة .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٨ .

كل مؤمن كان يأمل أن يعود عند الرجعة ليرى حكومـة أهل البيت (عليهم السلام) فإنه سيعود ، ويجب أن نؤكّـد ثانيـةً أنه لا يعـود إلى الدنيا لأجل إكمال عقيدته أو أعمال الخير ، وإنما يعود ليرى الثواب ، ويصل إلى قسم من نتائج أعمالـه وعقائـده برؤيـة حكومـة أهل البيت (عليهم السلام) .

وكذلك يرجع الكافر المحض ، والظالم المحض ، بل يرجع كل قتلة الأنبياء لينالوا العقاب الظاهري .

وكما أن عالم البرزخ هو مقدمة للقيامة فكذلك الـرجعة ، وليست هي البرزخ إنما هي من الحياة الدنيا .

الرجعة تؤكّدها العديد من الآيات والروايات ، ومن مسلّمات دين الإسلام ، ومن يشك فيها فإنما هو عن عدم الاطلاع ، هذا وقد شـرح العلامة المجلسي أدلة الرجعة ومداركها في بحار الأنوار وحق اليقين .

لا توجد لذة للمؤمن أعلى من رجعته

في الرواية أن مدّة الرجعة ستة وأربعون ألف سنة ، وإن كـان في الدنيا لذة فإنما هي في زمان ظهور الحجة (عليه السلام) وزمان رجعة أهل البيت (عليهم السلام) وحكومتهم .

بالتأكيد ، لا يرجع الكل ، إنما يرجـع الشيعة المخلصـون ، كما يرجع الكفـار المتمحضون في الكفـر ، كما سبق الإشـارة إلى رجوع قاتلي الحسين (عليه السلام) .

يزيد قتل الحسين (ع) فهل انتهى كل شيء ؟

كلا ! بل هو الآن في البرزخ معذّب ، وفي القيامة أيضاً سوف يعذّب ، ويؤتى به أيضاً في زمان الرجعة ليذوق نتيجة ظلمه .

من هو قاتل الحسين (ع)

ذلك الظلمُ الذي قطع أفئدة المؤمنين دهراً كاملًا ، وأجرى دموع عيونهم ، ولا يمكن مقايسته بأي ظلم آخر .

ظلم جدد الحزن في شهري محرّم وصفر على آل محمد (صلى الله عليه وآله) .

فمن هو قاتل الحسين ؟

يقول الشيخ الشوشتري : الأول يزيد الذي أمر أن يُقتل الحسين (عليه السلام) أو يبايعه .

وبعده ابن زياد الذي هيأ جيشاً لقتل الحسين (عليه السلام) .

وبعده ابن سعد الذي كان يُدعى بعد واقعة كربلاء بـ (قاتل الحسين) ويتجنبه الناس .

وبعد هؤلاء يأتي كل من حضر عسكر ابن سعد، وكان فيهم الشمر وصالح بن وهب الذي رمى الحسين (عليه السلام) فأوقعه إلى الأرض عن فرسه .

ألا لعنة الله على القوم الظالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل التاسع

مقام الحسين (ع) وشخصيته

إن بحثنا الليلة حول مقام الحسين (عليه السلام) وشخصيته ، وكذلك حول معرفة عظمة عمل الحسين (عليه السلام) ممّا يتطلّب منّا التذكير بمقدمة في شرح بعض الآيات القرآنية .

﴿ والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ﴾[1] .

﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾[2] .

انظروا ما هو الهدف من خلق الإنسان والغرض من إيجاده .

يقول علي (عليه السلام)[3] « سبحانك خالقاً ومعبوداً ، بحسن

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢١ .

(٢) سورة يونس : الآية ٢٥ .

(٣) الخطبة ١٠٩ من النهج .

بلائك عند خلقك ، خلقت داراً ، وجعلت فيها مأدبة ، مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثماراً » ولطالما تحدث قرآن محمد (صلى الله عليه وآله) عن عظمة تلك الدار حتى عبّر عنها ﴿ بالفضل الكبير ﴾ .

يقول (عليه السلام) : « ثم أرسلت داعياً يدعو إليها » نبيّاً أو إماماً[1] .

وقد بُعث الداعون إلى الله وهم الأنبياء والأئمة لتعريف البشر بأوصاف الجنة ، وتشويقهم ، ثم إيصالهم إليها .

والطريق إلى دار الضيافة هذه هو عبادة الله ، والعبودية له ، لا عبودية النفس والهوى والدنيا ، إطاعة الله لا إطاعة الشيطان . وهؤلاء ـ الأنبياء والأئمة ـ يذكرون الناس بهذا المطلب ليشتاق الناس إلى دار ضيافة الله فيتركون الشهوات ، ويطيبون فيصلون إلى الطيب ، ويطهرون من أمراض القلب ليصلوا إلى دار السلام ، ويصلوا إلى مقام التسليم والرضا ليحصلوا على الرضوان .

يقول علي (عليه السلام) وهو يأسف لبُعد البشر عن الدعاة إلى الله منذ آدم وإلى خاتم الأوصياء ، فماذا فعل البشر معهم !؟ .

(١) إنما ذكرنا الإمام لأنه داع إلى الله ـ تعالى ـ كالنبي (صلى الله عليه وآله) وإن لم يكن له مقام التشريع ، إلا أن كلمة الداعي تجري عليه كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) « أرسلت داعياً » .
الداعي بالأصل هو النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام داعٍ بالنيابة وكلاهما داعٍ إلى الله .

يقول (عليه السلام) : « فلا الداعي أجابوا ، ولا فيما رغبت رغبوا ، ولا إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا » .

إن جميع ترغيبات الدعاة إلى الله لم تؤثر في تلك القلوب التي هي أشدّ قسوة من الحجارة .

لم تهتز ولن تهتز نتيجة لحيوانيتها .

لم يتحقق لديهم الشوق ليعملوا ما يوصلهم إلى تلك الدار ويتركوا الذنوب وأهواء النفس .

أيها الناس إذا كان لديكم يقين بأنكم ستربحون في هذه المعاملة مليون درهم فما أكثر شوقكم حينئذٍ إلى تلك المعاملة ؟ وسوف تندفعون لتحقيقها متجاوزين كل الموانع ، ومتحملين كل المشاق والصعوبات ، وتسافرون من أجل إنجاز تلك المعاملة ، ومن ثمَّ ، فالحصيلة ربح مليون درهم .

إذاً ، فكم يجب أن يكون شوق قلوبكم إلى الجنة التي فيها السعادة الأبدية والراحة الدائمية ؟ .

يجب أن يبلغ بكم الشوق حتى يوقظكم من مضاجعكم في السَحر .

﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً ﴾[1] يجب أن توجهوا وجوهكم لله ـ عند أذان الصبح ـ شوقاً ، وتلبّون دعوة

(١) سورة السجدة : الآية ١٦ .

الله « حي على الصلاة » ليتحقق بذلك الإنفاق .

يجب أن ترفعوا أيديكم شوقاً ، كما ترفعون أيديكم لمعاملة ماديّة . يجب أن تكونوا كذلك ، إلّا أن تلك القلوب رغم كل تلك الترغيبات والتشويقات لم يتحقق لديها الشوق ؟؟ .

قبل عدّة سنوات رأى أحد الأخيار في عالم الرؤيا جنة البرزخ ، وظل يبكي بعد يقظته مدّة شهرين شوقاً إلى الجنة حتى فارق الدنيا .

يقول الشيخ محمود العراقي وهو من تلامذة الشيخ الأنصاري في كتابه (دار السلام): في ليلة من الليالي كنت في كربلاء، فرأيت في المنام جنة البرزخ ، وأقسمت وأنا في ذلك العالم أن لا أعود إلى الدنيا ولكن قيل لي : إنه لم يحل موعدك بعد فيجب أن ترجع .

كم تتركون من اللذائذ لغرض تحصيل العافية في أيام الدنيا المعدودة ؟ إذن من أجل عافية قلوبكم يجب ترك الذنوب شوقاً الى الجنّة ، فتغضون النظر عن المرأة الأجنبية إذا وقعت عينكم عليها ليعطيكم الله لذة الإيمان .

أكَر لذت ترك لذت بداني   دكَر لذت نفس لذت نداني

وتهيئوا أنفسكم بعد الموت للحور العين كما هو مضمون الروايات الواردة في هذا المجال .

إن علياً (عليه السلام) يتحرّق قلبه ألماً من البشر ، ليس فقط من أولئك الذين كانوا في عصره إنما في جميع العصور من أول الخلقة وإلى الآن ، فكم شوّقهم الدعاة إلى الله ورغّبوهم في الجنة ،

وأوضحوا لهم أن البشر إنما خلق ليصل إلى العالم اللامتناهي ، والسعادة التي لا شقاء فيها ، والسرور الذي لا حزن معه ، والقوة التي لا يخالطها ضعف .

لقد قال محمد (صلى الله عليه وآله) - كما جاء في القرآن - ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ﴾[1] . وقال(صلى الله عليه وآله) عندما دنت منه الوفاة وهو يرقى المنبر: إنني انتظركم على الحوض ، ولكن مع الأسف فإن الناس لم يجيبوا دعاة الله ، وبدل أن يقدّروهم ويشكروهم بالسير في طريقهم ، والشعور بالشوق والرغبة تجاههم ، «أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها »[2] فأصبحوا من طلّاب الدنيا ، والراغبين في نعيمها ، ومضوا وراء اللذائذ والثروات ، فضحوا أنفسهم ، وأصبحوا من آكلي الجيف ، فكل عابد للمال آكل للميتة ، وكل عابد للشهوة آكل للجيفة .

ماذا صنعت بهم الدنيا ؟

أعمت أبصارهم ، وأصمت أسماعهم ، فلم تجد دعوة الأنبياء طريقاً إلى مسامعهم .

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية ١٥٣ .

(٢) « أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبّها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره ، وأمرض قلبه ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ،ويسمع بأذن غير سميعة ، قد خرقت الشهوات عقله ، وأماتت الدنيا قلبه ، وولهت عليها نفسه ، فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها » .

إن شهوات الدنيا ، وأهواء النفس تطرد العقل وتزيله ، ويبقى الأنبياء وحدهم .

« فهو عبد لها ولمن في يده شيء عنها »

تركوا العبودية لله وعبدوا الدنيا « عبد الدرهم والدينار » « نساؤهم قبلتهم » وصاروا عبيداً لكل من بيده شيء من الدنيا .

فمن صاروا عبيداً ليزيد إنما تبعوه إذ كانت الدنيا معه ، والمال والرئاسة عنده « عبد الدرهم والدينار » .

وليت أولئك الناس الذين لم تؤثّر فيهم دعوة الأنبياء ، فلم يعبدوا الله ، ليتهم لم يؤذوا دعاة الله ، ولم يواجهوهم ـ وهم النصحاء الأمناء ـ بالزجر .

ماذا فعلوا بمن تتحرّق قلوبهم رحمة بالبشر ؟

كم زجروهم من آدم إلى خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وأئمة الهدى ؟

كم ضربوا نوحاً (عليه السلام) حتى كان يسقط أحياناً ويبقى ثلاثة أيام بلياليها والدم ينزف من جسمه .

لماذا يضربونه ؟ لأنه يحدّثهم بخلاف شهواتهم .

ماذا فعل الفراعنة والنماردة ؟

كانوا يريدون أن يجعلوا الناس عبيداً لهم وكان الأنبياء يكافحون

ويقولون للناس أنتم عباد الله .

لذا كانوا يدفعون الناس الذين تعلّقت عيونهم بالدنيا نحو أذية الأنبياء .

صريحاً يقول هذا الرجل الحقير : ﴿ **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري** ﴾[1] هؤلاء كانوا هم الطغاة في كل زمان .

الأنبياء والأئمة هم الدعاة إلى الله ، والطغاة في كل زمان هم الدعاة إلى الشيطان ، وكما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « فبعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته » .

فرعون واحد مثلك فلماذا تخضع له وتنفّذ أوامره .

أنت أسمى من أن تخضع لبشر مثلك ، رأسك عزيز يجب أن لا يطاطىء إلّا لله .

إلّا أن الطغاة لا يريدون ذلك، لذا فهم يعذبون الأنبياء ويزجرونهم ؛ لقد دفنوا بعض الأنبياء وهم أحياء ، وألقوا بعضهم في البئر ثم ملأوا البئر عليهم بالماء ، ونشروا بعضهم بالمناشير نصفين ، وحبسوا بعضهم في سجن بلا ماء ولا طعام حتى الموت .

إن من يراجع تاريخ الماضين من هؤلاء الدعاة إلى الله والبالغ عددهم في المشهور مئة وأربعة وعشرين ألفاً بين أنبياء وأوصياء ينوبون

---

(١) سورة القصص : الآية ٣٨ .

عنهم كالأئمة (عليهم السلام) لا يجد بينهم من ابتلي مثلما ابتلي الحسين (عليه السلام) .

إن مصائب الحسين (عليه السلام) لم يجر مثلها حتى على جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأبيه علي (عليه السلام) وأخيه الحسن (عليه السلام) .

في مواجهته ليزيد كانت مصيبته خاصة . فيزيد لم يكن مساوياً لفرعون وهارون الرشيد ، إن مشكلة الحسين (عليه السلام) معه كانت مشكلة خاصة لم يبتل أحد من الأنبياء والأئمة بمثلها .

يزيد يختلف عن نمرود وفرعون ، فقد طلبوا من موسى أن لا يذكر الله والآخرة ثم لا شيء عليه ؛ ولكن ماذا قالوا للحسين (عليه السلام)؟

فبمجرّد أن تسلّم يزيد الحكم بعد أن وصل معاوية إلى الدرك لم يعط للحسين (عليه السلام) أية فرصة ، فقد كان (عليه السلام) هو الرجل الوحيد الذي يقف في مقابل يزيد ويدعو لله والتقوى والآخرة .

إمّا أن يبايع الحسين (عليه السلام) وإمّا أن يقتل ، ولا يكفي مجرّد أن يسكت[1] إن تأكيدي على هذا الموضوع وتوضيحه إنما هو لأن بعض الأقلام المسمومة كتبت أموراً غير لائقة وتعدّت في بعض ما نسبته .

---

(١) كتب يزيد إلى واليه في المدينة كتاباً يقول فيه « خذ الحسين (عليه السلام) وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ومن أبى فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه » .

يكتب أحدهم : لماذا تحرّك الحسين (عليه السلام) من المدينة ؟

لماذا لم يسلّم ليزيد ؟

لماذا لم يصالح مثل أخيه الحسن ؟ وأمثال ذلك من الكلمات .

لقد كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان الذي كان والياً على المدينة من قبل معاوية « خذ الحسين . . . فإن أبى فاضرب عنقه وأبعث إليّ برأسه » .

ما معنى البيعة ؟

هل هي مجرّد أن يقول : يزيد أمير المؤمنين وينتهي كل شيء ؟ لا ، فالأمر ليس كذلك .

حين استحضر الوليد حسيناً وقرأ عليه كتاب يزيد قال له الحسين (عليه السلام) : « مثلي لا يبايع سراً فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً» فاقتنع الوليد منه بذلك. ثم هاجر الحسين بعد ذلك إلى مكة .

لئن جلس الحسين (عليه السلام) ساكتاً فإنهم لا يتركونه ، لقد سموا الحسن (عليه السلام) وقتلوه فهل يتركون الحسين حراً !؟

يجب أن تكون الطاعة ليزيد معلنة ! ومن هنا فإن الحسين (عليه السلام) وجد نفسه على مفترق طريقين: إمّا أن يترك وظيفته الإلهية فيصير من أتباع يزيد ، ويصبح مطيعاً منقاداً مؤيداً ليزيد لا لله

ورسوله (صلى الله عليه وآله) بعيداً عن التقوى ، ويعطيه يزيد نعيم الدنيا !!

إن معنى البيعة ليزيد هو التسليم له وليس مجرّد السكوت ، فهل يترك الحسين (عليه السلام) حراً لو سكت ؟ ليس كذلك ، لقد أخذوا الحسين (عليه السلام) بشدّة حتى أنه (عليه السلام) طلب من الوليد أن يمهله إلى الغد .

وكان مروان إلى جنب الوليد ، وهو يعرف أن الحسين (عليه السلام) لا يترك عبادة الله ، ولا يذهب وراء الدنيا ، ولم تملك قلبه بهجة الدنيا ومالها .

لذا فقد قال مروان للوليد : « إن فارقك الساعة ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم ، ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه » .

فارتفع صوت الحسين (عليه السلام) ودخل بنو هاشم الذين كانوا على الباب وانتهى الأمر وخرج الحسين (عليه السلام) سالماً .

وفي اليوم الثاني استدعي الحسين (عليه السلام) ليبايع يزيد أمام الملأ العامّ فيكون (عليه السلام) بذلك جسراً لانتصار يزيد ، حيث يكون من أطرافه ومنفّذي أوامره .

إلّا أن الحسين (عليه السلام) حاول أن لا يستفيد من الوقت لأنهم لن يتركوه ، ولم يفعل الطغاة في كل زمان مع الأئمة مثل ما فعله يزيد مع الحسين .

لم يتفق لأحد من الأنبياء مثل هذا الوضع ، فطغاة زمانهم كانوا يكتفون منهم بمجرّد السكوت .

أمّا يزيد فإنه طلب البيعة من الحسين (عليه السلام) وإطاعته أو يقتل .

وجاء الحسين (عليه السلام) إلى قبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبكى حتى أغمي عليه ؛ فرأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول له : « حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك مذبوحاً بأرض كربلاء » ثم سأله الحسين (عليه السلام) أن يأخذه معه ولا يعود إلى الدنيا ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « لا بدّ أن ترزق الشهادة ليكون لك ما كتب الله فيها من الثواب العظيم » .

وعلى أي حال فقد خرج الحسين (عليه السلام) من المدينة ومعه نسوته وأولاده متّجهاً إلى مكّة ، وكان قدوم الحسين (عليه السلام) إلى مكّة في شهر شعبان وظل فيها إلى شهر ذي الحجة ، ومعناه أن بقاءه فيها كان مدّة أربعة أشهر .

وخلال ذلك كانت قد وصلته رسائل من الكوفة تدعوه للمجيء إلى العراق ، فأرسل (عليه السلام) مسلم بن عقيل ليرى ما يكون عليه أمر أهل الكوفة ، وحين بايع أهل الكوفة مسلماً بعث إلى الحسين (عليه السلام) برسالة يقول له فيها « إن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجّل الإقبال » أمّا انقلاب أهل الكوفة وخيانتهم فلم يصل خبره إلى الحسين (عليه السلام) فكان

(عليه السلام) مضطراً حين خرج من مكّة ، فهو في المدينة واجه ضغوط الوليد فخرج منها ، وفي مكّة عرف أن يزيد أرسل ثلاثة أشخاص يلبسون لباس الإحرام ويخفون تحته السلاح حتى يقتلوه أينما وجدوه حتى في الطواف ، وهنا كان حفظ النفس واجباً على الحسين (عليه السلام) ، حيث كان معرّضاً للقتل .

ولقد عرض عليه ابن الزبير أن يبقى متحصناً في المسجد الحرام فقال (عليه السلام) : « لئن أقتل وبيني وبين الحرم باع أحب إليّ من أن أقتل وبيني وبينه شبر ، ولئن أقتل بالطف أحبّ إليّ من أن أقتل بالحرم » .

وقال لمن حذّره من الخروج إلى الكوفة لأن أهلها أهل غدر : « لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم » .

كان الحسين طالباً للإصلاح وليس للفساد: «إنما أريد الإصلاح في أمة جدي » ولو كان يريد الحرب لقاتل جيش الحرّ حين قطع عليه الطريق ، فقد قال له أحد أصحابه : « يابن رسول الله إن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به » . فقال الحسين (عليه السلام) : « ما كنت لأبدأهم بالقتال »[1] .

لقد كان الحسين (عليه السلام) داعياً إلى الله ، يذكر الناس

---

(١) أسرار الشهادة .

بالله ، والتقوى ، والعدالة ، والجنة ، وليس في ذلك سفك للدماء ، « إنما أريد الإصلاح » والشيء الذي حدث أن الحر أخذ الطريق على الحسين (عليه السلام) يريد القدوم به إلى الكوفة وتسليمه لابن زياد، فعرض الحسين (عليه السلام) عليه العودة إلى المدينة فمانعه الحر، وانتهى الأمر بالحسين (عليه السلام) أن وصل إلى كربلاء ، وهنا وصلت رسالة ذلك الملعون يقول فيها : « أما بعد فجعجع بالحسين (عليه السلام) حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي فلا تتركه إلّا بالعراء » .

لم يكن الحسين (عليه السلام) طالباً لسلطان ، أو رئاسة ، أو مال ، أو لذة من لذائذ الدنيا ، بل هو صاحب مقام إلهي وداعٍ إلى الله .

ومنذ وصوله إلى كربلاء كان يطلب الخير ، ينصح ، يعظ ، يرشد ، وكان يرسل أصحابه ليعظوا جيش يزيد ، أيها الناس اتّقوا الله ، « ويحكم اتطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة . . » .

وأخيراً أتّم عليهم الحجة فقال :

« أيها الناس كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض » .

لقد أوضح الحسين (عليه السلام) وأصحابه عظمة الله حيث وضع نفسه لنصرة الله ، والآخرة ، والقرآن ، والحقيقة ، فالله عظيم ،

والله عـزيز بمستـوى يستحق أن أضحي من أجله ، وأرى ولـدي أمـام عيني قطعة قطعة ، ولا أترك هدفي مهما فعلوا !!

لقد سمعتم أنه في عصر اليوم التاسع من محرّم أقبل الشمر يطلب أبا الفضل وأخوته قائلاً « أين بنو أختنا - يعني العبّاس وجعفراً وعبد الله وعثمان - »إلى أن قال: « أنتم يا بني أختي آمنون فلا تقتلوا أنفسكم » إلاّ أن أبا الفضل أوضح بموقفه عزّة الله وعظمته قائلاً « تبّت يداك ولعن مـا جئتنا بـه من أمانـك يا عـدو الله ، أتأمـرنا أن نتـرك أخانـا وسيدنـا الحسين بن فاطمة وتدخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء » .

أية سعادة عند يزيد ؟ بل من هو يزيد ؟ لقد أحق الحق ، وأبـطل الباطل بعمله وقوله ؛ وحقاً « السلام عليكم يا أنصار الله » .

إذن كيف تكون معاملة الله للحسين (عليه السلام) ؟

الحسين الذي كان نصيراً لله وللآخرة .

مهما عرضوا عليه أن يكـون نصيراً للدنيـا وللكفر لم يـوافق مهمـا فرضوا عليه من الضغوط والمشاق بدءاً من مصيبة الطفل الرضيع وإلى سائر المصائب المزعزعة إلاّ أنه (عليه السلام) قاوم كل ذلك .

من يسعى في إعزاز الحق

إذا كنت في مجلسٍ ورأيت منكراً قد ارتكب فانهض من أجل عزّة الحق .

دعا أحد أعوان المنصور الإمـام الصادق (عليـه السلام) لـوليمة

واضطر الإمام (عليه السلام) للاشتراك ، إلاّ أنهم وضعوا على المائدة قنينة خمر فقام الإمام (عليه السلام) ولعن من يجلس عند مائدة فيها خمر .

كل معصية انصرفت عنها إنما أعززت بذلك الحق ، فإذا كنت في جمع لا يصلّون وقمت في زاوية وأدّيت الصلاة « وذكر الله في الغافلين » فذلك له عند الله قيمة خاصّة .

وبنحو كلي كل من ناصر الله فإن الله شكور سيجازيه .

ولم يتفق لأحد من الأنبياء والأئمة أن أعزّ الحق وأذّل الباطل ، وعظّم الآخرة وحقّر الدنيا وعبادة الشهوات ، مثل ما اتفق للإمام الحسين (عليه السلام) .

كيف يعامل الله الحسين ؟

لو عفا الله عن ملايين بل مليارات المذنبين كرامةً للحسين (عليه السلام) فهل ذلك عظيم ؟

إن الله يظهر عزّة الحسين (عليه السلام) كما أن الحسين (عليه السلام) أظهر عزّة الله في عاشوراء .

كل رحمة ـ مهما بلغت ـ تصل للمذنبين ببركة الحسين (عليه السلام) فإنها ليست بشيء ! لقد سمعتم قصة النصراني . . . هذه الليلة أحياها الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه ، فلا مانع أن تتأخروا أنتم ساعة لتظهروا عزّة الحسين بمقدار ما تستطيعون .

كان هناك رجل نصراني من تجّار البصرة وله ثروات طائلة، فكتب له وكيله في بغـداد أن ينتقل إلى بغـداد لأن العمل التجـاري فيها أوسـع والبصرة تضيق عليه .

باع النصراني ما لديـه وحوّل بضـاعته إلى نقـود ، واستأجـر عدّة مراكب لنقل أمواله واتّجه إلى بغداد .

وفي الطريق حمل على ركبـه عدّة سُـرَّاق محترفين ونهبـوا جميع أمواله .

ظل ماشياً وحده في الطريق ليس معه درهم واحـد ، فوصـل إلى كوخ استراح فيه ، والتقى في الطريق بالقبائـل التي تقطن الصحـاري فنزل ضيفاً عندهم .

وصل إلى قبيلة قرب الحلّة دعته ليحل ضيفاً عندها ، وخلال تلك الأيام شاهـد عدّة أشخـاص قادمين فسـأل عنهم فقيل : إنهم يـذهبون لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) ، فالتمس منهم النصراني أن يأخذوه معهم فوافقوا على أن يكون أميناً لهم على ما معهم .

وحين وصلت القافلة قالوا له : إننا ذاهبون لموكب العزاء ، هـذه ملابسنا احفـظها عنـدك ، وابق الليلة وهي ليلة عاشـوراء وسنعود لـك غـداً ، وجلس النصـراني في زاويـة من الصحن الشـريـف ومعـه ملابسهم .

نظر النصراني فيما حوله فرأى أموراً جديدة . . !! .

مواكب العزاء جديدة عليه

عند السحر غلبه النوم فرأى رجلاً عظيماً خارجاً من الحرم المطهّر ، وهو يقول لشخصين كانا معه : «سجلوا اسم كل من جاء إلى كربلاء » .

بعد لحظات من ذهاب هذين الشخصين عادا وفي أيديهما سجل وهما يقولان : سيدنا لقد سجلنا أسماء الجميع .

فقال : لم يفت من قلمكم أحد في الأطراف والزوايا ؟ قالوا : لا ، لقد سجلنا الجميع .

فقال : إذن لماذا لم تسجلوا اسم هذا النصراني ؟

قالوا : سيدنا إنه نصراني ، ولم يرد بقصد زيارتكم ، فقال كلمة تغيّر فيها حال ذلك النصراني ، قال : « ألم ينزل بساحتنا ؟ » فهو ضيفنا لأنه حلّ بصحننا ، وكل من حلّ في بساط الحسين (عليه السلام) يجب أن يجازى ؛ وهذا النصراني أيضاً يجب أن يجازى .

وانتهى الأمر بالنصراني وهو ينتظر رفقاءه لاطماً باكياً ناحباً .

وفي الغد حين أقبل رفقاؤه طلب منهم أن يمكّنوه من الدخول للحرم الشريف ؛ وشرح لهم قصته ثم أسلم وصار حسينياً .

* * *

إن من تشمله رحمة الحسين (عليه السلام) سوف يوفّق للتوبة ، وبساط رحمته عجيب لا يُحرم منه أحد .

يُروى في الكتب المعتبرة أن أحد الرواة يقول: وصلتني رواية عن الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) يقول فيها : « من زارني بعد وفاتي زرته بعد وفاته » ، وظلت هذه الرواية في ذهني حتى رأيت في ليلة من الليالي واقعة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) فقلت : سيدي هل الرواية صحيحة ؟

فقال (عليه السلام) : نعم ولو كان في النار أخرجته منها .

فقلت : إذن أنقل عنكم هذه الرواية مباشرة وبلا واسطة ؟

فقال : نعم .

* * *

تأملوا في حالات الحسين (عليه السلام) هذه الليلة ، ما أعظم المهمّة ، فهو ساعة يذهب ليطمئن قلب أخته زينب ويسليها ، وأخرى يخطط لحرب غدٍ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصـل العاشـر

لا خوف على أولياء الله

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكـانوا يتّقون*لهم البشرى في الحيـاة الدنيـا وفي الآخـرة لا تبـديـل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] .

صلى الله عليك يا أبا عبد الله الحسين الشهيد .

السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه .

مطلب مهم حول أولياء الله

نستعرض فيما يلي شرحاً لمفردات الآية الشريفة :

---

(١) سورة يونس : الآيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

« ألا » من أدوات التخصيص ، وحين يـريـد المتكلم الحكيم أن يعرض للمخاطب مطلباً هاماً فإنه يستعمل كلمة (ألا) للتنبيه ، بمعنى تهيأ ، توجّه ، يستعمل بدلها بالفارسي كلمة (هان) .

« ألا » تستعمل لبيان أهمية المطلب الذي يذكر بعدها .

انتبهوا ، افهـموا : أولياء الله كذا . . .

« أوليـاء » جمع ولي ، والـولاية في مـوارد من هذا القبيـل تأتي بمعنى المحب والناصر والصديق والقريب ، ويقـال لكل من الـطرفين اللذين بينهما محبة متبادلة ولي .

الأنانية تمنع المحبة الإلّهية

تصل المحبة في عالمها إلى حد الولاية ، وتصل العبودية إلى حد تزول معه كل الحجب ، فيتخلّص من الذاتية والأنانية والميول والأهواء التي هي الحجاب .

لا يـوجد حجـاب أعلى من حجاب الهـوى ، فـالأهـواء والآمـال والأمنيات الواهية تكون حجاباً بين الإنسان والله[1] . فكيف يصير عارفاً بالله من تعلّقت آماله وأمانيه بالحياة الدنيا ؟ وأين يجد القرب من الله من كان غارقاً في الأوساخ ؟

---

(١) « وإنـك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمـال دونـك » دعـاء أبي حمـزة الثمالي .

رضى الله وليس النفس ولا الهوى

يستطيع الإنسان أن يكون ولياً لله إذا ألقى جانباً هذه الحجب، كما قال علي (عليه السلام) : « رحم الله امرأً جعل همّه هماً واحداً انفرد به » فإذا كان الله راضياً عني فليس مهماً كل ما عداه .

ليس بمعنى أن لا يعمل ولا يكسب ، بل بمعنى أن همّه رضى الله وليس النفس والهوى ، وبالتأكيد فإن النفس لا ترضى إطلاقاً ، ومهما أعطاها الشخص فإنها تطلب المزيد .

الله هو كل همّ الأولياء وجهدهم

والخلاصة يجب أن يسعى الإنسان لإزالة الحجاب وحينئذٍ يكون ولي الله ، ويكون الله وليّه أيضاً ، ولاية متبادلة ﴿ والله ولي المؤمنين ﴾ ﴿ والله ولي الذين آمنوا ﴾ .

إن هذا المؤمن هو عبد الله ، مرتبط بالله ، والله هو وليّه ، وسيّده ، وسوف يوصله إلى هدفه .

إنّ وليّ الله مرتبط بالخالق ، والله هو كل همّه وعمله ، حين يصل المؤمن إلى درجة الكمال يقال له وليّ الله ، وعلى ذلك يكون سرور الأولياء ، وأمير الأولياء ، أسد الله الغالب ، علي بن أبي طالب هو ولي الله بطريق أولى .

لله أولياء

ويعترض بعض الجهلاء فيقول لماذا تقولون « علي ولي الله » ؟

في مواضع متعددة نسب الله الأولياء إليه فقال : ﴿ **إن أولياؤه إلاّ المتقون** ﴾[1] ووضعهم في مقابل أولياء الشيطان ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان** ﴾[2] .

أولياء الرحمن هم أهل التقوى ، وأولياء الشيطان هم المرتبطون بالشيطان .

أولياء الله هم حزب الله الغالبون ، وللشيطان حزب في مقابلهم[3] .

الشهادة بالولاية لأجل التبرّك

وبالطبع فإننا لا نعدّ جملة « أشهد أن علياً ولي الله » جزءاً من الأذان ، بل نقولها تبركاً ، فلدينا روايات عديدة تقول إن الناس خلقوا من شجر شتى بينما خلق محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) من شجرة واحدة .

محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) شيء واحد ، ففي حديث الأنوار المروي بطرق متعددةٍ : « أول ما خلق الله نوري ونور علي بن أبي طالب » وفي حديث آخر يرويه أبناء العامة :

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٤ .

(٢) سورة النساء : الاية ٧٦ .

(٣) ﴿ **شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ سورة الأنعام : الآية ١١٢ .

« مكتوب على ساق العـرش لا إله إلاّ الله ، محمـد رسول الله ، علي ولي الله » .

اسم علي بعد اسم محمد (ص)

وحيث لم ينفصـل علي عن محمد (صلى الله عليـه وآلـه) أبـداً فنحن نذكر الشهادة بولايته بعد الشهادة برسالة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) لا بقصد أنها جزء من الأذان ، إنما لأن علياً هو نفس محمد (صلى الله عليـه وآلـه) بـشهـادة آيـة الـمبـاهـلة ، ﴿ **وأنفسنـا وأنفسكم** ﴾[1] .

وفي عين الـوقت نحن لا نـرى وجـوب هـذه الجملة في الأذان والإقامة ، ومن تركها فـإن أذانه وإقـامته صحيحـان ، إنما نـذكر هـذه الجملة لأجـل إظهار العـلاقة بعلي (عليـه السـلام) وإبـراز عقيـدتنـا بالولاية .

الإضافة والحذف في الأذان لها سابقة

كما أن إضافة شيء في الأذان ليس أمراً جديداً، فقد أدخلوا في أذان الصبـح جملة « **الصـلاة خيـر من النـوم** » في وقت لم تكن في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا زمن الخليفة الأول .

وهكذا حذف جملة « حي على خير العمل » التي كانت في زمن

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٦١ .

الرسول (صلّى الله عليه وآله) والخليفة الأول ، فقد حذفت من الأذان ظناً أن الناس سوف يتخيّلون أن الصلاة أفضل الأعمال فيتركون الجهاد ، لذا يجب حذفها .

بيان الخوف والحزن في سياق مختلف

ما زال الحديث في معنى الولي ، وكما تستعمل هذه الكلمة بمعنى المحب كذلك تأتي بمعنى المسؤول والأولى بالتصرّف ، وهو معنى أخصّ من المعنى السابق ، ومختص بالنبي (صلى الله عليه وآله) ومن يقوم مقامه ، أما معنى المحبّة والمودّة فهو أمر عام .

وإذا لاحظنا الآية الشريفة ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] نجد أنه لم يرد التعبير عن الخوف والحزن في سياق واحد ، فبالنسبة للخوف تقول الآية « لا خوف » وبالنسبة للحزن تقول « ولا هم يحزنون » فهي لم تقل لا يخافون ولا يحزنون .

وقد ذكروا حول هذه الملاحظة عدّة نكات :

سبب الخوف خارجي وسبب الحزن داخلي

سبب الخوف يأتي ـ غالباً ـ من الخارج ، فمثلاً يرى الإنسان ثعباناً ، أو يرىٰ ناراً فيخاف .

كما أن الخوف يرد على النفس الإنسانيّة بصورة واحدة هي التي

---

(١) سورة يونس : الآية ٦٢ .

يعبّـر عنها بكلمـة « على » فيقال « لا خـوف عليهم » حيث إن السبب خارجي يستولي على الإنسان ويعلوه .

أمـا الحزن فسببـه عادة إدراك من داخـل نفس الإنسـان ، فمثـلاً يتصوّر فقدان شيء من يده أو زواله فيما بعد ، وهذا التصوّر يدعو لأن يصبح الشخص حزيناً .

فالحزن يأتي من نفس الإنسان من دون أن يكون له سبب خارجي مستقل ، فلو لـم يكن هناك إدراك وعلاقة شديدة بذلك الأمر الخارجي لم يتحقق الحزن ، إنما يـأتي الحزن بـواسطة العـلاقة المـوجودة مـع الشيء .

الحزن عبارة عن حالة نفسيّة تحدث عندما يفقد الإنسان شيئاً له به علاقة خاصة أو ينتظر فقدانه .

وبنـاءً على ذلك فـإن هنـاك فـرقـاً من حيث السبب بين الخـوف والحزن .

العلاقة برب الأولاد أشد

وحيث لا عـلاقة استقـلالية للولي إلا بـالله إذن فلا خـوف عليه ، وكذلك لا حزن لديه على فقدان شيء .

إن بعض ضعفاء النفوس يبتلى بالهستريا عند موت ولده أو ما ماثل ذلك من المصائب ، ولكن المؤمن علاقته بخـالق الأولاد أشدّ ، ليس بمعنى أنه لا يحب المال والأولاد ، بل هو يحبها جداً لأنها من نعم الله وعطائه .

يحب المال لأنه عطاء الله

في روايـة أنه سئـل الإمام عن الشيعة : ما لهم أشـداء في صـرف المال ؟!

فقال (عليه السلام) : لأنهم كسبوه من حلال[١] .

أجل ، المال الذي كسبوه بطريق حلال يصرفونه في طريق رضى الله ، إن عطاء الله يُصرف في طريق رضاه ، وهم يريدون المعطي أكثر مما يريدون العطاء ذاته ، وإنما يحبـون المال لأنـه عطاء محبـوبهم . مضافاً إلى أنهم يستعينون به في بلوغ رضى محبوبهم .

المال أيضاً سبب للامتحان الإلهي

إن جميع ما على الأرض من الأسباب هي امتحان ﴿ **إنّا جعلنا ما على الأرض زينـة لهـا لنبلوهم أيهم أحسن عمـلاً** ﴾[٢] وحيث كـان الإنسان يحب المال فلينفقه في سبيل الله ولا يعطله عنده لأنه بالإنفاق سيبقى له في حساب الله ، إن من كان كذلك ، يرى أن المال سبب من عند الله وليس مستقلاً فإنه لا يتحسَّـر إذا فقده ، ولا يتجـرّع الغصص بذلك إذ ليس له به علاقة استقلالية .

وبالجملة فإن أولياء الله لا تستولي عليهم أسباب الخوف ، إذ أنهم لا يرونها مؤثّرة بالاستقلال .

---

(١) في حدود مراجعتنا السريعة لم نعثر على مصدر هذه الرواية ونصها لذا نقلناها معرَّبة عن الفارسية .

(٢) سورة الكهف : الآية ٧ .

لا يتنافى ذلك مع الدفاع عن النفس

وبالطبع فإن الفرار من العدو لا ربط له بهذه المسألة .

إن المحبوب ـ الله ـ هو الذي أمرنا بالدفاع عن النفس ، ودفع الحيوان المؤذي ، فلا منافاة بين أن لا يخاف الإنسان من أي سبب « لا خوف عليهم » وبين أن يدافع عن الحق والنفس . فهو بالاستقلال لا يخاف من أي شيء ، لأنه يعلم أن هناك قوة قاهرة أخرى هي المؤثرة ، وهو يستطيع بالتوكّل عليها أن يتغلب على أيّ عدو ، ولا يصل إليه أي ضرر من أي إنسان إلّا إذا شاء الله .

لا طريق للخوف ولا للحزن للأولياء ، سوى الخوف والحزن من أن يحرموا من الأحبة ، ومن المقامات الروحيّة ، فلديهم خوف وحزن روحاني كما أن لديهم فرحاً روحانياً .

الخلوة مع الله سرور الأولياء

أهل الدنيا ليس لهم اطلاع على اللذة الروحيّة ، وكم هو سرور أولياء الله .

إن اللحظة التي يخلو فيها المؤمن بربّه يشعر فيها بالقرب منه ، ويناجيه ، ويدرك ألطافه ، ومثل هذه الفرحة لايحصل عليها أحد من أثرياء العالم .

ولنتحدث عن سادة أولياء الله ، وهم أصحاب الحسين (عليه السلام) ، فلقد قلنا إن ولاية أولياء الله واجبة ومحبتهم لازمة .

سادات الشهداء وعشّاق الحسين (ع)

التعبير الذي ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شأنهم أنهم سادات الشهداء من الأولين والآخرين ، وقد وردت في شأنهم تعابير عجيبة أخرى ، واللازم علينا في أيام محرّم هذه أن نجد الطريق إلى المقامات العالية من خلال التوّسل بهؤلاء العظماء وإظهار محبتهم .

جاء في كتاب (الخرائج) للراوندي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم التعبير عن شهداء كربلاء بالعشّاق ، حيث قال (عليه السلام) « ومصارع عشّاق لم يسبقهم أحد قبلهم ولا يلحق بهم أحد بعدهم » .

إن التعبير بالعشق قليل في الروايات ، ومع ذلك فقد عبّر عنهم في هذه الرواية بأنهم عشّاق ، لم يصل إلى مقامهم أحد قبلهم ، ولا يلحق بهم في درجتهم أحد بعدهم .

أجل ، أي عاشق مثل حبيب بن مظاهر ، وبرير ، وزهير . . .

وفي هذه الليلة نتحدّث عن واحد أو اثنين من هؤلاء العشّاق وأولياء الله لعلّ الله ببركتهم يزيد من محبتنا .

يقطع فراسخ في الصحاري عشقاً للحسين (ع)

من جملتهم يزيد بن ثبيط ، وهو من شيوخ البصرة وأشرافها ، فحين وصله خبر خروج الحسين (عليه السلام) إلى مكة ، ورفضه مبايعة يزيد ، وحين وصلت رسالة الحسين (عليه السلام) إلى شيعة البصرة وجلسوا ينظرون ما العمل ، قال هذا العظيم لأولاده وهم

عشرة : أيكم يخرج معي ؟ فـانتدب منهم اثنـان عبد الله وعبيـد الله ، وقال له أصحابه نخاف : عليك أصحـاب ابن زياد فقـال : والله لو قـد استوت أخفافهـا بالحـدد لهان عليّ طلب من يـطلبني ، ثم التحق هو وعدّة من الشيعة المخلصين بالحسين (عليه السـلام) وكان ذلـك في شهر شوال، ووصلوا إليه (عليه السلام) وهو في مكّة،وقدموا معه إلى كربلاء .

انظر ماذا تصنع المحبة .

المحبة ذات الطرفين

وكـان الحسين (عليه السـلام) في الأبطح حين وصـل يزيـد بن ثبيط ، وقبل أن يجلس يزيد للاستراحة في الخيمة التي أعدت له توّجه لزيارة الحسين (عليه السلام) ، والحسين (عليـه السلام) من جهتـه كـان متعلقاً بـه أيضـاً إذ العـلاقـة متبـادلـة ، فكـل من يحب الحسين (عليه السلام) فإن الحسين يحبّه أيضاً ، ومن هنا فبمجـرد أن أخبروه (عليه السلام) بقـدوم يزيـد ووصولـه نهض هو إليـه وذهب للقائـه ، ولكنهما تعاقبا في الطريق ، فوصل الحسين (عليه السلام) إلى خيمة البصريين ودخلها فقيل له : إن يزيد بن ثبيط قد ذهب لزيارتكم ، فبقي (عليه السلام) حتى رجع .

سليمان رغم عظمته فقد نظر إلى النملة

وعاد يزيد سريعاً إلى خيمته ، وبمجرد أن وقع نظره على الحسين (عليه السلام) قال « بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفـرحوا » وبعـد أن

سلّم على الحسين (عليه السلام) وقبّل يده عـرض محبته وودّه وكـان لسان حاله يقول :

باور أز بخت ندارم كه تو در خانه مائي
خيمة سلطنت ، آنكاه سراي درويش

ومعنى البيت :

لا أصدق أن يكون من حظي دخولكم إلى منزلي ، وأن تحل خيمة السلطنة في بيت هذا الدرويش .

أين أنا الفقير الحقير من الحسين (عليه السلام) وهو سلطان عالم الوجود .

ولكن سليمان رغم عظمته فقد نظر إلى النملة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الحادي عشر

تكون التقوى بالاستعداد لخدمة الله

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] .

صلى الله عليك يا أبا عبد الله الحسين الشهيد .

السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه .

هل الموت لغيرنا

جاء في نهج البلاغة ، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان في

(١) سورة يونس : الآيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

تشييع جنازة فرأى بعض المشيّعين وهم يتحادثون ويضحكون ، فقال بصوت مرتفع : « كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحقّ فيها على غيرنا وجب ، وكأن الذي نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوّئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنّا مخلّدون بعدهم » .

حين تسمعون بموت أحد فإن عليكم أن تفكروا في التزوّد لسفركم ، أمّا حديث الناس فهو عكس ذلك ، يسألون هل كان الشخص الميت كبيراً أم شاباً ؟ كم طفلاً عنده ؟ .

ماذا يملك من الأموال ؟

ما هو مرضه ؟

الإيمان المستمر والتقوى الدائمة

مجلسنا منوّر بذكر أولياء الله ، وعند ذكرهم تنزل رحمة الله ، فكل مجلس فيه ذكر أولياء الله ، وعلى رأسهم الأنوار الطيّبة محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله) فإن أهل المجلس تشملهم رحمة الله .

لذا نجعل حديثنا عن أولياء الله .

الآية الشريفة صريحة في أن أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى ، إلى أن يصل إيمانهم إلى درجة اليقين بأن كل الموجودات هي ملك الله ، ويدركون هذه الحقيقة : أن لا مليك إلاّ الله ، ولا أحد من الأفراد له استقلال في أمره ، وحياته ليست بيده ، وإنما الملك للخالق .

دوام العبودية عند أولياء الله

يجب الاستمرار في التقوى من حين التكليف ، والتقـوى بمعنى الاستعداد لخدمة الله ، والالتزام بـإطاعتـه ، واجتناب اتبـاع الهوى ، حتى يزول عنه الهوى ، ويقطع علاقاته الشخصيّة ، ولا يبقى في قلبه سـوى الله وما يرجع إليـه ، بحيث يصبح مِمن « لا يحب سـوى الله » ويكون حزنه وفرحه وخوفه وسروره متعلّقاً بالأمور الروحانيّة والجهـات المعنويّة .

الخوف من الله مقام شامخ

وبالطبع فإن الـوصول إلى هـذا الحال وصـول إلى مقام عـظيم ، بحيث ينحصر الخوف والحزن بالخوف والحزن من الله ، إذ إن محبوبه واحد ، فليس لديه عشق للمال حتى يحزن إذا فقده ، ويصل وضعه في جانب التقوى إلى أن يكون قلبه واحداً .

أي يك دله صد دله يـك دله كن

مهر دكر انرا زدل خود بله كن[1]

إن من يصل إلى هذا المقام هو من أولياء الله ، وقد أعانه الله ووفقّه للاستمرار على التقوى حتى أزاح عن قلبه ميوله وشهـواته ، ونجـا من عبودية الأصنام ، وحينئذٍ فإن له البشارة في الدنيا مضافاً إلى البشارة في الآخرة التي يعلمها هو .

---

(١) ترجمة البيت : أيها القلب الواحد اجعل القلب الموّزع إلى مائة قلب قلباً واحـداً ، واقلع من القلب محبة الغير .

البشرى بلقاء آل محمد (ص) ساعة الموت

جاء في الروايات أن البشارة الدنيوية هي الرؤيا الصادقة ورؤية عجائب الملكوت ، وقد عدّوا من ذلك : البشرى ساعة الموت .

وقد ورد أن أول بشارة للمؤمن ساعة موته هي رؤيته جمال محمد (صلى الله عليه وآله) وآل محمد ، وقد ورد في تشريفات موت المؤمن رواية شريفة يصعب فهمها ، وقد ذكر العلامة المجلسي عليه الرحمة في مرآة العقول شرحاً مفصّلاً وافياً لها .

لا تقبض روحه إلاّ برضاه

فقد ورد في الحديث القدسي « ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » ـ الكافي ـ .

أما كيف يتم إرضاؤه ؟

أولاً : يرى جمال محمد (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام)، فلئن كان في البداية راغباً في البقاء في الدنيا فإنه برؤية محبوبه سيشتاق للحاق به .

وثانياً : يسقى من ماء الكوثر ليعرف أنه بالموت لا ينفصل عن لذائذه وإنما الموت هو أول سعادته ، وحينئذٍ سيبذل روحه بكمال الشوق ويسلّم أمره للحق .

الوعد الإلهي الحتمي

« لا تبديل لكلمات الله » ما قلناه من أن المؤمن له البشرى في

الدنيا وفي الآخرة هو قضاء الله الحتمي والله لا يخلف الميعاد ، والأمر على هـذا الحال إلى قيـام الساعـة ، فمن صار من أوليـاء الله فإن لـه البشرى ساعة الموت فيعـطي روحه بسخـاء ، وله البشـرى في الآخرة أيضاً وذلك هو الفوز العظيم .

وإن علينا أن نتشوّق لـذلك فنسعى للوصـول إلى تلك المقامـات العالية .

وإن أوسع الطرق لذلك هو العلاقة بأولياء الله ، والدليل على ذلك هـو الرسـالة التي كتبهـا الإمـام الـرضـا (عليـه السـلام) في شـرائـع الإسلام .

تجب مودّة أولياء الله

فيروى أن المأمون طلب من الإمام الرضا (عليه السلام) أن يكتب له رسالة في بيان شرائع الإسلام أصولاً وفروعاً ، فكتب (عليه السلام) له رسالة مفصّلة في ذلك ، وما يرتبط ببحثنا منها هو هذه الفقرة « وتجب الـولايـة لأوليـاء الله » فتجب على المسلم مـوالاة أوليـاء الله ليتصلوا ببركتهم بمقامات روحانيّة تنفع المؤمنين ، ففي الوقت الذي تخلّفنا فيه في طـريق الإيمان والعمـل والتقوى وأيسـر سبيل للوصـول إلى ذلـك الإرتبـاط بأوليـاء الله وصحبتهم ، فإن جـاذبية المحبـة كفيلة بـإيصـال المحبّ إلى محبوبه .

جاذبية الحبّ

لقد ورد في الرواية الشريفة « لو أن رجـلاً أحبّ شيئاً ولـو حجراً

لحشره الله معه » وويل لأولئك الذين يحشرون مع الخمر والقمار لعلاقتهم به .

نفسي فداء للمتعلّق بالقرآن .

فداء لعاشق أولياء الله ، وعلى رأسهم محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله) .

فداء لمحبّي أصحاب الحسين (عليه السلام) .

آثار المحبوب تظهر في المحب

إن محبة أولياء الله نافعة للمتأخرين عن المقامات العالية ، فهم من طريق المحبة وعشق أولياء الله ، تنعكس عليهم آثار المحبوب بمقدار درجة الحب ، حتى يصل تأثير المحبة إلى أن تجعل من قلب المحب مكاناً ومقراً للمحبوب ؛ فيكون عرش الرحمن في قلب المؤمن .

إنّ من يتعلّق بالمال أو المقام يكون فكره وذكره هو ذلك ، ويوماً بعد يوم يزداد حبه للمال والمقام أو الشهوة الجنسية ، فكل من أحبّ شيئاً دار حوله ، به يتحدّث وعنه يبحث .

إن محبة الحسين (عليه السلام) لا تحصل دفعة واحدة ، إنما يجب أن يستمر في المحبة حتى تنمو تدريجاً ، فلا يترك ذكر الحسين (عليه السلام) وأولاد الحسين (عليهم السلام) .

زيادة المحبة من خلال زيادة الذكر

الليلة هي الليلة السادسة من محرّم ، وفيها يذكر أن عمر بن سعد

وصل إلى كربلاء ومعه ستة آلاف أقبلوا لحرب الحسين (عليه السلام) ، فما حال أطفاله (عليهم السلام) حين رأوا هذا المشهد !؟ .

الغرض أن المحب يدور حول محبوبه ، وتزداد المحبة كلما ازداد الذكر ، فيجب أن تكون بصدد تنمية المحبة ، ومن خلال كثرة الذكر تزداد المحبة .

لا رياء في المحبة ، فإنها أمر قلبي ، فهو يحب حقيقةً وصدقاً . والحب والعمل أحدهما معلول للآخر ، فالعمل هو نتيجة الحب ، والحب يزداد هو الآخر نتيجة العمل ، ثم يدعو إلى عمل أكثر وهكذا .

كيف نعرف الأولياء

وهنا مجال للسؤال :

إذا كانت مودّة أولياء الله واجبة فكيف نعرفهم حتى نودّهم ؟

والجواب : صحيح إن أولياء الله مخفيون ، لا يعرفون بالظاهر ، ولا يمكن الحكم عليهم من خلال كثرة الصلاة والصيام ولا من خلال شيء آخر ، إذ كيف نعرف من ليس في قلبه حبّ إلاّ لله ،وليس في قلبه خوف إلاّ من الله !

الحديث القدسي الشريف يقول « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » وبالطبع فإن في عدم معرفتهم حكمة ، فلو عرفهم الناس ما تركوهم ، ولطلبوا منهم حاجاتهم الدنيوية والأخروية .

هـذا مضافـاً إلى النكتة المشـار إليها في حـديث الإمـام علي بن الحسين (عليهما السلام) .

أخفى رضاءه في طاعته

قـال (عليه السـلام) : « إن الله أخفى ثلاثـة في ثـلاثـة ، أخفى رضاءه في طاعته ، أخفى سخطه في معصيته ، أخفى وليّه في أوليائه » وفي رواية أخرى ذكر أمر رابع هو « أخفى الاسم الأعظم في أسمائه » .

لقد أخفى الله رضاه في طاعته ، ولـو كانت الـطاعة التي تـوجب الـرضى معلومـة لأمكن أن يقتصـر الإنسـان عليهـا فيُحـرم من بـاقي العبادات ، ولذا فقد أخفى الله تعالى رضاه في أعمال الخير من أجل أن ينتفع الإنسان من جميع الواجبات .

صحيح أن مساعدة بعض الأشخاص توجب رضى الله ، ولكن من أين لي أن أعرف من هو هذا الشخص ؟ فلعله هو ذلك المورد الـذي توجب مساعدته رضى الله ، ولذا فعليّ أن لا أمتنع عن مساعدته .

يكفي رضى الله

اعْمَلْ كُلَّ خَيْرٍ قدرت عليه ، سَاعِدْ كُلَّ فقيـر ، فما يـدريك لعـل رضى الله في هذا الخير ، والخلاصة أنك منتفع من كل خير .

ساعد كل فقير ، أقبل عليه فلعله هو ذلك المـورد الذي فيـه رضى الله .

رضى الله أمـر مهم ، وثواب غيـر عادي ، والعمـل الذي يـوجب

رضى الله هو الآخر مهم أيضاً ، فلو أن عملاً واحداً من مجموع هذه الخيرات كان موجباً لرضى الله لرفعك من التراب .

ذنب يسلب التوفيق للتوبة

والثاني أن الله أخفى سخطه في معصيته ، فبعض المحرّمات توجب سخط الله؛ حتى ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): أن من الذنوب ما يمنع المغفرة ويوجب حرمانها .

وقد يقال هنا : إذا تاب الإنسان فكيف لا يغفر الله له ؟

لقد أفاد العلّامة المجلسي في شرح هذا الحديث مطلباً نافعاً فقال : إن الذنب الذي يوجب سخط الله يسلب أيضاً التوفيق للتوبة ، فلا يندم بعد ذلك على ذنبه ، وتكون عاقبته سوءاً .

للامتناع عن جميع الذنوب

أي ذنب ذلك الذي يوجب سخط ربّ العالمين ؟

لم يُوضح ذلك ـ في الشريعة ـ لكي يحذر المسلمون من كل ذنب فلعله هو ذلك الذنب الموجب لسخط الله .

أحياناً يستصغر الإنسان الذنب بينما هو عظيم عند الله ، كما قال تعالى في القرآن : ﴿ إذ تلقّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم ﴾[1] .

---

(١) سورة النور : الآية ١٥ .

حرب على الله وإهانة لأولياء الله

أحياناً يهين أحدهم إنساناً لا اسم له ولا رسم ، وليس له شأن في المجتمع ، ولكن لعلّه من أولياء الله فتشمله حينئذٍ الرواية المشهورة في الحديث القدسي « من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة » ولذا ينبغي له الامتناع عن توهين أي أحد ، إذ لعله إهانة لولي الله ، بل يلزمه إعزاز كل مؤمن إذ لعله من أولياء الله فيستفيد من بركة إكرامه وإعزازه .

لذا أخفى الله أولياءه في عباده ، لينتفع الناس كما ذكرنا في الشرح المتقدم .

الدعاء المستجاب وإخفاء الاسم الأعظم

وهكذا إخفاء الدعاء المستجاب ، وإخفاء الاسم الأعظم ، فالغرض منه أن ينتفع الإنسان بكل دعاء ، وبجميع أسماء الله الحسنى ، حين تكون مودّة أولياء الله واجبة فما هو العمل ونحن لا نعرفهم ؟

أولاً : تجب على كل مسلم مودّة أولياء الله بنحو كلي وبعنوان عام ، أمّا خصوص الأشخاص فأولئك الذين ثبت بالدليل القطعي أنهم أولياء الله ، وعرّفهم الله تعالى بأنهم أولياؤه ، تجب مودّتهم .

تجب مودّة أمثال سلمان

كما أن أولئك الذين عيّنهم المعصوم ، وثبت بنحو قطعي تعريفهم من قِبَلِهِ (عليه السلام) تعتبر حجة الله على لسان المعصوم ثابتة في

حقهم ، مثلاً في الرواية السابقة عن الإمام الرضا (عليه السلام) - في بيان شرائع الإسلام - ذكر الإمام اثني عشر شخصاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممّن تجب مودّتهم مثل سلمان ، أبي ذر ، المقداد ، عمّار ، أبي الهيثم ، خزيمة بن ثابت وغيرهم ممّن ذكرهم (عليه السلام) .

إن جميع المسلمين يجب أن يكونوا من محبّي سلمان المحمدي من صميم القلب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني عشر
أصـول السـعادة

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكـانوا يتّقون *لهم البشرى في الحيـاة الدنيـا وفي الآخـرة لا تبـديـل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] .

صلى الله عليك يا أبا عبد الله الحسين الشهيد .

ثلاثة أصول أساسية لسعادة البشر

للسعـادة ثلاثـة أسس هي : الإسلام ، والإيمـان ، والتقـوى ، بهـا تكون النجاة ، وتنال الدرجات .

---

(١) سورة يونس : الآية ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

والقرآن من أوله إلى آخره شاهد على هذا المطلب ، وإن جميع الدرجات والمقامات إنما تترتب على هذه الأصول الثلاثة : الإسلام والإيمان والتقوى ، ولكل واحد منها مراتب عديدة ولنتائجها أيضاً مراتب عديدة .

لا تتخيل أن الجنة عبارة عن بستان كبير يدخله الجميع ، وإنما لكل واحد حدّ ودرجة ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾[1] حسب المقام الذي وصل إليه خلال مدّة عمره ، وحتى مراتب الأنبياء فإنها ليست واحدة ﴿ تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ﴾[2] فهم يختلفون باعتبار مقاماتهم ، والدرجات التي وصلوا إليها خلال مدة عمرهم ، وما أعطوا فيها من المقام .

الإسلام هو الاعتقاد والتسليم للحق

سوف نذكر المرتبة الأولى والمرتبة الأخيرة ، أمّا سائر المراتب اللامتناهية فإنها تقع بين هاتين المرتبتين .

الإسلام من التسليم ، التسليم لله ورسوله وأوامرهما ، والتشهّد بالشهادتين باللسان ، والعمل طبقاً لما يريد الله والرسول ، والاعتقاد بالمعاد والعمل بما يقتضيه ذلك ، مثل هذا الشخص يسمى مسلماً .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ .

خشوع القلب وحبّ الآخرة من لوازم الإيمان

الإيمان هو أن يكون قلبه عارفاً بما سلّم به ، وأظهر التسليم له ، ويكون محبّاً لله ، طالباً للآخرة وللجنة ، وما لم يكن القلب خاشعاً لله فإنَّ الإنسان يبقى في حدود مرحلة الإسلام ، لا يتجاوز منها إلى الإيمان ، فاللازم أن يتحقق لديه الخشوع علاوة على التسليم لله ورسوله في القول والعمل ، ويجب أن يكون خائفاً من العذاب الذي أخبر به الله والرسول (صلى الله عليه وآله) ، وما لم يكن مشتاقاً للثواب الذي وعد به الله تعالى فأي إيمان له ؟ فالإيمان لا يحصل من دون خوف ورجاء بالنسبة لعاقبته في الآخرة .

الوعد الإلهي مشوق

وبالطبع فإن الخوف والرجاء لهما مراتب ، أولها أن تحصل عنده حالة الشوق بالنسبة إلى الأمور الأخروية التي جاء الوعد بها ، فللمؤمن بعد موته ملك عظيم﴿ وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾[1] ومتى ما أراد المؤمن أن يرى سعة ملكه ارتفع سريره ـ الذي يجلس عليه ـ مدّة أربعين عاماً فيرى سعة ملكه ، ومعنى ذلك أن ملكه وسيع إلى درجة لا يستطيع أن يحيط برؤيته إلاّ إذا ارتفع بتلك المسافة .

إن هذه الوعود إنما هي من أجل أن يعمل الإنسان للوصول إلى تلك المقامات والدرجات .

---

(١) سورة الإنسان : الآية ٢٠ .

الإطاعة نتيجة الشوق

المرتبة الثانية في الإيمان هي أن يكون قلب الإنسان خاشعاً وطالباً لما سلّم به ، فارّاً من جهنم ، ويتحقق في قلبه الخوف والرجاء ، فيمنعه خوف جهنم من المعاصي ، ويدفعه رجاء الجنة إلى المثوبات .

إن هذا الخوف والرجاء هو من لوازم الإيمان القطعية ، فلو كان في القلب ذرّة من الإيمان لتحقق عنده الخوف والرجاء شاء أم أبى .

فالمسلم هو من يسلّم بالقرآن ، ولو سلّم به لزمه الخشوع له ، والالتزام بما تفرضه عليه وعوده ، وأن يكون يقظاً منتبهاً .

وضع طوق العبودية في عنقه

والمرتبة الثالثة هي التقوى ، فبعد التسليم للمطالب الحقّة والإيمان بها تصل النوبة إلى التقوى ، وهي وضع طوق العبودية في عنقه ، واعتبار نفسه عبداً حاضراً لامتثال أوامر مولاه .

التقوى هي اجتناب عبادة الهوى ، والابتعاد عن الذاتية ، وعن التحلّل والانفلات ، وفي نفس الوقت فإن للتقوى معنىً أوسع هو مطلق الاجتناب عن مخالفة الله ، فينهض عند أول وقت الصلاة وحين يسمع (حيّ على الصلاة) ويتّجه للصلاة مؤدّياً للواجب الإلهي المهم .

التقوى هي التقيّد بالأوامر والنواهي الإلهية

روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في معنى التقوى قوله : « أن لا يراك حيث نهاك وأن لا يفقدك حيث أمرك » فأول مرتبة للتقوى هي

أن يحضر في كل ما أمر الله به ، ولا يوجد في أي موضع نهى الله عنه .

إن الفرار من الذنب هو أول مرتبة للتقوى .

وهنا نذكِّر بالمرتبة العالية للتقوى :

إن من شرع بالمرتبة الأولى للتقوى فإن إسلامه صحيح ، وإيمانه محقق ، وإذا استمر فإن ملكة التقوى ستكون من نصيبه .

التقوى تصبح ملكة من خلال التمرين والمعاناة

ليست هي حوض لصبغ الأقمشة بحيث توضع فيه قطعة القماش فتصبغ ، بل تحتاج إلى جهد ومشقة ، مثالها تعلّم القراءة والكتابة ، فالطفل لكي يتعلّم ذلك يلزمه الذهاب إلى المدرسة ، وأخذ الدروس ، وكتابة السطور .

إن المقامات المعنويّة ليست أمراً يحصل على الفور ، بل يلزم فيه الاستمرار ، فلو استقام في طريقه ، ولم ينحرف عن طريق الإسلام والإيمان ، وظل على الدوام يواصل ذكر الله وتوفيقه ، فإنه سوف يصل إلى الدرجات العالية التي يبلغها أولياء الله .

الدوام على التقوى

دقق النظر في الآيات السابقة :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا

وكانوا يتّقون ﴾[1] .

فأولياء الله هم الذين آمنوا واستمروا على التقوى (وكانوا يتّقون) .

وحول البشارة الدنيوية للمتّقين ذكرت العديد من الرؤى الصادقة ولعلهم يرون مقاماتهم العظيمة فيها ، وحقاً إنه لفوز عظيم ، وفلاح كبير .

بالطبع فإن تجاوز الذات أمر مهم ومشكل؛ فما أكثر الذين يتّخذون من أزواجهم وأولادهم آلهةً لهم .

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

إن علامة أولياء الله أنه ليس لديهم خوف وحزن نفسي ، وذلك لأنهم من خلال الاستمرار في طريق العبودية يتنوّر قلبهم يوماً بعد يوم ، وينشرح صدرهم ، وتفتح لهم الأبعاد الروحانيّة حتى يروا أنفسهم وجميع الأشياء ملكاً مطلقاً لله فقط ، ويعرفون أنهم لا يملكون شيئاً ، إنما الملك ملك الله .

إن هذه المعرفة هي منتهى الكمال البشري ، بأن لا يرى نفسه مالكاً لأي شيء ، بل الله بيده كل شيء .

لاحظوا الطرف الأقوى

يقول بعض أهل المعرفة في الحكمة العالية : إنه إذا كان لشخص

---

(١) سورة يونس : الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

علاقة بأمرين أحدهما أقوى من الآخر ، فإن قدّم العلاقة الأضعف فذلك ظلم وجهل ، وضربوا لهذا مثالاً بالأب والعم ، فلو أن الابن ترك أباه والتزم عمّه لاعترض عليه الناس وقالوا : لماذا تركت أباك ؟ لماذا قدّمت عمّك على أبيك ؟ وبالطبع فإنهم لا يقولون له لماذا تحترم عمّك ؟ أو لماذا تطيع عمّك ؟ بل يقولون لماذا تركت أباك ، فإن الأب أجدر بالاحترام ؟

وهكذا ، فلو أن أحداً قدّم العلاقة الأضعف على العلاقة الأقوى فإنه ظالم جاهل ، لأنه عمل ما لا ينبغي .

تقديس النسبة إلى الذات ظلم

من عرف بإدراكه الروحاني أن شخصه وجميع الأشياء نسبتها إلى خالقها هي النسبة الأقوى ، ومع ذلك فهو يقدّم نسبتها إلى نفسه ، فهذا هو الظلم والجهل .

مثلاً : لو مات ابنه فهذا الابن له نسبتان نسبة إلى الأب ونسبة إلى الله ، وهنا أية نسبة هي المقدّمة ؟ هي النسبة لمن خلقه وخلق ارتباطه وانتسابه للأب ، وعلى ذلك فلو مات الابن فقل : إنه عبد الله ، مخلوق الله ، مملوك الله ، فإن نسبته إلى الله أقوى من نسبته إليك .

كل شيء ملك لله لا لغيره

وبهذا الترتيب نسبة المال ، فرشي ، أموالي ، فلاحظ فرشك من أي شيء ؟ وهذا المال لمن ؟ إن حديد العمارة وآلاتها هو مال الله ،

الخشب والحجارة هي أيضاً من الله ، إذن نسبة هذه العمارة إلى الله مقدّمة على نسبتها إليك .

العقل يفهم هذا المعنى ، والفهم يدركه .

ماجه ايم اندر جهان بيج بيج
جون علف أو خود جه دارد هيج هيج[1]

أنا قبضة التراب التي كانت قبل مائة عام في الصحراء ، وسوف تعود هذه القبضة مرّة أخرى إلى القبر ، إن قدرتي سوف تنتهي إلى هذا الحال .

(إنّا لله وإنّا إليه راجعون) قل ذلك بقصد جديّ ، أنا عبد الله (إنّا لله) أنا ملك لله وماله .

لأنه لا يرى نفسه مالكاً

وبعد أن يصل إلى الفهم ، ولا يرى نفسه مالكاً لشيء بالاستقلال ، فإنه سوف لا يحزن على فقدان شيء وزواله .

أجل ، لماذا أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟

لأنهم لا يرون أنفسهم مالكة لشيء ولا مستقلة، وبناءً على ذلك فلو وصل الإنسان إلى هذا المستوى من الفهم فإن فقدان شيء وضياعه من يده لا يوجب حزنه النفسي ولا يسوؤه ، إذ هو لا يشعر بالفقدان لأن قلبه متعلّق بشيء آخر .

---

(١) ومعنى البيت : أين نحن من هذا العالم المتلاطم .

لا مانع من الحزن والخوف الروحاني

ولو تحقق عنده الحزن فإنه حزن روحاني من حيث عودته إلى الله ، إن خوفه من الله فقط ، يخاف أن يكون مورداً لغضب الله . وحزنه أيضاً إلهي ، فإنه إنما يحزن لجهة إلهية ، فهو يحذر أن يسقط من عين الله ، ويكون محروماً من ثوابه .

مسلم حزين على الحسين (ع)

الكل سمعوا مصيبة مسلم بن عقيل ، هذا الرجل العظيم ، وأول سلام يُرفع إليه هو ما يقال لسائر أصحاب الحسين « السلام عليكم يا أولياء الله » .

حين قبضوا على مسلم ، بعد أن جرحوه ورموه بالحجارة بوضع مفجع ، بكى من دون اختيار حين وصل إلى مجلس ابن زياد ، فقال له عبيد الله ابن العباس السلمي : من يطلب مثل الذي طلبت لا يبكي ، فقال « والله ما على نفسي أبكي إنما أبكي على أهلي المقبلين ، أبكي على الحسين وآل الحسين » .

إنه قد تجاوز ذاته وفني في الإمام .

إنما حزني على الحسين (عليه السلام) فقد كتبت إليه وهو في طريقه إلى الكوفة وسوف يجري عليه ما جرى عليّ .

وهنا قد يقول مثلي : أين أنا من هذه المقامات ؟

ولكن اعلم أن الله فتح باباً عظيماً ، وفرش بساط رحمته ، بحيث

لـو تحقق لأحد الحـزن الحسيني ـ وهو حـزن روحاني ـ فـإن جـاذبيّـة الحسين (عليه السلام) سترفعه وتجعله من أولياء الله .

المتصل بالمتصل متصل

حينما ترتبط بالحسين (عليه السلام) وهو مـرتبط بالله ، وحينمـا تتصل بالحسين (عليه السلام) وهو متصل بالله فإنك حينئذٍ ستصبح من أولياء الله .

نعم ؛ أين نحن وأين أوليـاء الله ؟ ولكن إذا تمسكّت بهم فسوف تستفيـد منهم تمامـاً ، والشواهـد على ذلك كثيـرة ولكن سوف نكتفي بعرض قصة واحدة عن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) .

إبراهيم (ع) يريد الحسين (ع) أكثر ممّا يريد ولده

ورد في الرواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه لما أمر الله عزّ وجـل إبـراهيم (عليـه السـلام) أن يـذبـح مكـان ابنـه اسمـاعيـل (عليه السلام) الكبش الذي نزل عليه، تمنى إبراهيم (عليه السلام) أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبـه ما يـرجع إلى قلب الـوالد الـذي يذبـح أعزّ ولـده عليه بيده، فيستحق بذلك رفع درجات أهل الثواب على المصـائب . فأوحى الله عزّ وجل إليه : يا إبـراهيم من أحب خلقي إليك ؟ فقـال : يا ربّ مـا خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد (صلى الله عليه وآله) ، فأوحى الله إليه : أهو أحبّ إليك أم نفسك ؟ قال : بـل هو أحب إليّ من نفسي . قال : فولده أحبّ إليك أم ولدك ؟ قال : بل ولده . قال :

فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي ؟ قال : يا ربِّ ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي . قال : يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من أمّة محمد (صلى الله عليه وآله) ستقتلُ الحسين (عليه السلام) ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش ؛ يستوجبون بذلك سخطي . فجزع إبراهيم (عليه السلام) بذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي ، فأوحى الله عزّ وجل : يا إبراهيمُ قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بجزعك على الحسين (عليه السلام) وقتله ، وأوجبت لك درجات أهل الثواب على المصائب وذلك قول الله عزّ وجل ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾[1] .

---

(١) الخصائص الحسينية / العلامة الشوشتري .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث عشر
علامات الولاية لله

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتّقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله وذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] .

السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين الشهيد .

السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه .

شهداء كربلاء أشرف الأولياء

لا شك أن الأنبياء هم أقرب الناس إلى الله على اختلاف مقاماتهم

(١) سورة يونس : الآيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

ودرجاتهم ، والأولياء هم أشرف الناس بعد الأنبياء ، وهم كالأنبياء على مراتب ومقامات مختلفة .

والمستفاد من الروايات أن أشرف الأولياء هم شهداء كربلاء ، وقد وردت في شأن هؤلاء الاثنين والسبعين شهيداً عن الرسول (صلى الله عليه وآله) روايات تؤكّد أنهم أشرف الأولياء وأفضلهم .

علامات أولياء الله مذكورة

إذا أراد الإنسان أن يعرف وليّ الله فما هي علامته ؟

لا توجد لدينا علامة قطعيّة توجب اليقين بأن صاحبها من أولياء الله ، إلّا من عرّفهم الله تعالى ، وأمّا فيما عدا هذا الطريق فليس لدينا أي دليل .

أمّا العلامات التي توجب الظن القوي فهي كثيرة في الروايات ، ومنها العلامات المذكورة في خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وفي الحديث المختصر الوارد في كتاب (لوامع البينات) وردت علامتان ، ويمكننا اعتماداً على هذا الحديث أن نتعرّف إلى حدّ ما على أولياء الله .

وحاصل الرواية أن موسى بن عمران (عليه السلام) سأل الله أن يعرّفه أولياء الله ، فأوحى الله إليه « إذا أحببت عبداً عصمته محارمي لئلا يحلّ عليه غضبي وألهمته ذكري كي أذكره في الملأ الأعلى » .

أولياء الله لا يرتكبون المعاصي

أول علامة لأولياء الله اجتناب المعاصي ، والابتعاد عن الحرام لئلا يستوجبوا غضب الله ويشملهم سخطه ، وحيث إنهم لا يألفون عالم المحنة من هنا فإنهم لا ينسجمون مع المعاصي ، إنما أعداء الله هم الذين يأنسون بالمعاصي .

وعلى ذلك فلو صدرت المعصية من أحد فسوف يُعرف أنه ليس من أولياء الله ، خصوصاً تلك المعاصي التي تصدر منه بروح الطغيان أو اللامبالاة حتى وإن كانت من صغائر الذنوب ، فإنها لا تتفق مع توّجه أولياء الله ، وقد أشير إلى هذا المعنى صريحاً في القرآن المجيد بقوله : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[1] .

محبة الله لا تجتمع مع المعصية

يا من تدّعون أنكم أولياء الله ، وأحباء الله ، عليكم اتباعي !

فحين يقول الرسول (صلى الله عليه وآله) هذا حرام ، وحين يقول : يؤذيني هذا العمل ، وحين يقول : أنا لا أرضى بهذا العمل ، فإن دليل محبتكم لله هو الفرار من ذلك الأمر .

إن من يستغيب أحداً كمن يأكل لحم الميتة ، هذه هي صورته الملكوتية ، ومثل هذا الشخص كيف يكون في خط أولياء الله وهو الآن ماشٍ في طريق أعداء الله .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

إن كل ذنب له مثل هذه الصورة وهذا الوضع .

إيذاء المؤمن ، بل إيذاء الحيوان كذلك أيضاً .

خط الأشرار غير خط الأبرار

في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال : النجاة للأبرار ، فسئل (عليه السلام) من هم ؟ فقال : من لم يصل أذاه إلى النملة ![1] .

أما الأشرار فإن أذاهم يصل للآخرين .

إن خط الأشرار مفصول عن خط الأبرار ، خط الأولياء هو نكران الذات ، وتحمّل الزحمات وطلب راحة الآخرين . وخط الأشقياء بعكس ذلك ، يطلبون منفعتهم بزحمة الآخرين . ونحن إن لم نكن في خط الأولياء فيجب أن نجهد على الأقل أن لا نكون في خط الأشقياء .

لأجل أن لا يغضب الله يجب ترك المعصية

نعود إلى شرح الرواية ، يقول الله تعالى : « إذا أحببت عبداً عصمته محارمي لئلا يحلّ عليه غضبي » .

وشتان بين طريق غضب الله ، وطريق الرحمة والمحبة والخير .

---

(١) الرواية منقولة معنى وليست نصاً .

يجب الامتناع عن ترك الواجب وفعل الحرام ليصبح ولياً لله

وبالطبع فإنّا لا نريد القول إن أوليـاء الله معصومـون ، فلسنا ممّن يقول بأن لهم ما للأنبياء والأئمة (عليهم السلام) من العصمة .

لكن من يحبه الله يحفظه حتى لا يصدر منه ذنب ، ولو صدر منه ذنب على سبيل الفرض والصدفة فإنه يوفق للتوبة فوراً .

نسيان الذات وذكر الله

والعلامة الثانية « وألهمته ذكري كي أذكـره في الملأ الأعلى » إن من أحبه ربّ العالمين يصل إلى هذا المقام فينسى نفسه ويـذكر الله ، يتحدّث عن الله ، ولله ، ويشتغل بـذكر الله ، والخـلاصة أنـه في كل الأحوال مشغول بذكر الله ، فهو حين يجلس فبذكر الله ، وحين يمشي يمشي على بساط الله ، وحين يأكل ويشرب يضع نعمة محبوبه نصب عينيه ، وحين يضع ولده في حضنه يقبّله لأنه عطاء محبوبه .

أولياء الشيطان هم أهل الغفلة

طريق أولياء الله ذكر الله .

وطريق الشيطان هو الغفلة .

أوليـاء الله حين يجلسون في مجلس يتحـدّثون بـذكر الله ؛ كما أن أولياء الشيطان ينفرون من ذكر الله ويتحدثون عن الشهوات .

فكل واحد يظهر ما في قلبه على لسانه ، فحين يكون حبّ الله في القلب يكون اللسان مشغولاً بذكر الله ونعمه حتى وقت النوم ﴿ **واذكروا**

الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾[1] .

يطوي مرحلة البرزخ من قبل

ويجب أن يصل به الأمر إلى حدّ أن لا يرى نفسه على الإطلاق ، ويكون ذكر الله هو الفاعل في وجوده بنحو ينعتق من شخصية ذاته ، ويتركها ، وحين يموت يكون قد قطع مرحلة البرزخ من قبل فيرد حيث يجتمع أولياء الله ، وفي مقدّمتهم أصحاب أبي عبد الله الحسين .

إن شهداء كربلاء وهم مع الحسين (عليه السلام) تحت العرش يبلغ بهم السرور إلى درجة أن الحور العين يرسلن لهم من يخبرهم عن شوقهن لهم فيأتي الجواب : كيف نترك الحسين (عليه السلام) ونحن في جواره .

عطاء الله في جوار الحسين (ع)

إن محضر الحسين (عليه السلام) بهيج لحدٍ أنهم لا يفكرون معه بالحور العين .

إن عالم المحبة عجيب حقاً .

تلك هي المواهب الإلهيّة ، تلك هي العطايا العظيمة « أين مواهبك الهنيئة ، أين صنائعك السنيّة » التي لم تخطر على قلب بشر ، ولا رأتها عين ، ولا سمعتها أذن .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٥ .

« أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وأخيراً فإن مقام الذكر يصل بالمرء إلى حد ينسى معه ذاته ، ويستمر الذكر حتى لا يرى لذاته ذاتاً خاصة .

أنا أقل الأقلين

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعاء عرفة « أنا أقل الأقلين بل أقل من الذرّة » .

إن كثرة الذكر والمداومة عليه تصل بالمرء إلى حدّ يرى نفسه أصغر من كل صغير ، وفي مقابل ذلك أولئك البعيدون عن الله كيف يؤكّدون أنفسهم بالقول أنا ، أنا ، وكنموذج لهؤلاء الأشقياء ـ الذين شقوا نتيجة غفلتهم وحبهم لذواتهم ـ عبد الله الحر الجعفي ـ لقد كان هذا الشقي رئيس قبيلة ، وكان شجاعاً معروفاً وشخصاً وجيهاً في الكوفة .

عبد الله الجعفي يلتقي بالحسين (ع) في الطريق

بعد مجيء ابن زياد ، وعبثه في الكوفة ، وقتل مسلم ، عرف عبد الله الجعفي أنه إن بقي في الكوفة فسوف يضطر للاتفاق مع ابن زياد في الخروج لحرب الحسين (عليه السلام) ويخسر بذلك الدنيا والآخرة ، لذا فقد ارتحل من الكوفة مع ولده وغلامه ، ونصب خيمته في عدة منازل خارج الكوفة ، حتى وصل إلى قصر بني مقاتل ، وفي يوم وصوله وصلت إلى قصر بني مقاتل قافلة كربلاء .

سأل الحسين (عليه السلام) لمن هذا الفسطاط ؟

فقالوا : لعبد الله بن الحر الجعفي .

فأرسل الحسين (عليه السلام) إليه الحجاج بن مسعود الجعفي - وهو من أصحاب الحسين (عليه السلام) والمؤذن في صلاته - يدعوه للالتحاق به (عليه السلام) .

لم يبق للحسين ناصر

أقبل الحجّاج مع شخص آخر إلى عبد الله الجعفي ودعاه لنصرة الحسين (عليه السلام) ، وهنا أول الشقاء !! الويل لمن يرى لنفسه وجوداً وشخصية في مقابل الحق .

فقال عبد الله الجعفي :

« والله ما خرجت من الكوفة إلّا لكثرة ما رأيته من الخارجين وخذلان شيعته ، فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره ولست أحب أن يراني وأراه » .

رجع الحجاج إلى الحسين (عليه السلام) وأخبره بالخبر .

نصرة الحسين (ع) وكفارة الذنوب

فلما سمع الحسين ذلك نهض بنفسه ومشى إليه لأجل إتمام الحجة عليه ، وفي الرواية أنه كان مع الحسين عدد من الصبية الصغار .

في هذا الموضع كم يجب أن يكون عبد الله مسروراً أن قدم إليه ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

« فدخل عليه الفسطاط فوسّع له عن صدر المجلس . .

يقول ابن الحر : ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين (عليه السلام) ولا أملأ للعين منه ولا رققت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله » .

« ولما استقر المجلس بأبي عبد الله حمد الله وأثنى عليه وقال :

يابن الحر : إن عليك ذنوباً كثيرة ، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبك ؟

قال : وما هي يابن رسول الله ؟ فقال : تنصر ابن بنت نبيّك وتقاتل معه » .

غفران الذنوب وأمل الشفاعة

ضمناً يجب أن تعلم أن التوبة من الذنوب لازمة ، وبعد ذلك تطلب الشفاعة أو ترجوها ببكائك على الحسين (عليه السلام) ، لا أن تضع البكاء على الحسين (عليه السلام) موضع التوبة وتغيّر بذلك حكم الله .

إن حكم الله هو وجوب التوبة من الذنب .

نعم ، البكاء على الحسين (عليه السلام) يوجب قبول التوبة ،

وهو سبب طهارة القلب من الأوساخ ، وبالطبع فإن جميع الخلق محتاجون إلى الشفاعة .

النجاة في نصرة الحسين (ع)

إلاّ أن الشقي عبد الله الجعفي قال في جواب الحسين (عليه السلام) : « والله إني لأعلم أن من شايعك كان السعيد في الآخرة ، ولكن ما عسى أن أغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً ، فأنشدك الله أن لا تحملني على هذه الخطة فإن نفسي لا تسمح بالموت » كم هو بعيد عن عالم المحبة !؟ لا يرى إلاّ نفسه !! من أنت وما قيمة دمك !؟

الغلام الوفي والسعادة الدائمية

أما غلام الحسين (عليه السلام) الأسود فهو يئن : سيدي « إن ريحي لنتن ، وحسبي للئيم ، ولوني لأسود ، فتنفّس عليّ بالجنة !! » .

أين هذا وأين ذاك !

وأخيراً قال الجعفي :

« إن نفسي لا تسمح بالموت ، ولكن فرسي هذه ، والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلاّ سبقته فخذها هي لك » « وسيفي هذا القاطع ورمحي واعف عني » .

فقال الحسين (عليه السلام) :

« أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك » .

فالحسين (عليه السلام) كان يـريد نجـاته من النـار ، ويتم عليه الحجة ليصل إلى السعادة .

ثم خرج الحسين (عليه السلام) منه وجرت أحداث كربلاء . . .

ابن زياد يطارد عبد الله

حـين رجع عبد الله إلى الكوفة حضر مجلس ابن زياد ـ وقـد ذكر بعضهم أن ابن زياد هو الذي أحضره ـ فقال له ابن زياد : أين كنت يا ابن الحر ؟

قال : كنت مريضاً ؟

قال : مريض القلب أو مريض البدن ؟

قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأمّا بدني فقد منَّ الله عليه بالعافية .

فقال له ابن زياد : كذبت ولكنك كنت مع عدوّنا !

وعرف عبد الله أن عيون ابن زياد قد كتبوا لـه بقصّـة مـلاقاتـه مع الحسين (عليه السلام) .

فخرج من القصر، وقعد على فرسـه ، فقال ابن زيـاد : أين ابن الحر ؟ قالوا خرج الساعة ، قال : عليّ به ، فلحقته الشرطة وقالت : أجب الأمير، فدفع فرسه ثم قال: أبلغوه أني لا آتيه والله طائعاً أبداً،ثم خرج حتى أتى كربلاء،فنظر إلى مصارع القوم ، ونزل عن فرسه عند قبر الحسين (عليه السلام) وبكى عنده ، فكان يقول :

فيالك حسرة ما دمت حياً | تردّد بين صدري والتراقي
حسين حين يطلب نصر مثلي | على أهل الضلالة والنفاق
ولو أني أواسيه بنفسي | لنلت كرامة يوم التلاقي
فلو فلق التلهف قلب حيّ | لهمّ اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الألى نصروا حسيناً | وخاب الآخرون ذوو النفاق

ولكن فات الأوان ، وقد أتى الجلادون على خيولهم في تعقبه ومطاردته ، فألقى بنفسه في الماء لكي يتخلص منهم وغرق .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع عشر

الديــن محبــة

﴿ إلا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتّقـون * لهم البشرى في الحيـاة الدنيـا وفي الآخرة لا تبـديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] .

صلى الله عليك يا أبا عبد الله الحسين الشهيد .

اللهم ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك ، وحبّ كـل عمل يـوصلني إلى قربك .

الحزن القلبي على الحسين (ع) عبادة عظيمة

أعظم العبادات أيام محرّم الحزن القلبي .

---

(١) سورة يونس : الآيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

على المؤمنين أن يعرفوا أنهم إذا اجتمعوا في مجلس فليذكروا الحسين (عليه السلام) ، فإن الحزن القلبي عبادة لأنه ينشأ من المحبة وأساس الدين هو الحبّ « وهل الدين إلاّ الحب » فالدين ملازم لمحبة الله ورسوله ومحبة كل شيء مربوط بالله .

الحزن على الفراق بمقدار المحبة

إذا كان الشخص محبّاً لأحد فإنه سيحزن على فراقه أو ممـاته ، وبمقدار ما يكون الشخص متعلّقاً بشيء فإنه سيحزن على مفارقته ، وباعتبار المحبة يكون الحزن زيادة ونقصاً ، فكلما كانت المحبة أكثر كان الحزن عند الفراق أكثر .

في اللقاء فرح وسرور ، وفي الفراق حزن وغمّ ، فما دامت أعضاء البدن في موضعها ، وتعمل عملها فالإنسان مسرور ، أمّا إذا انقطعت ، أو تألم أحد الأعضاء فسوف يتأثر الإنسان ويظهر الضعف في سائر الأعضاء ، بمعنى أن آثار الحزن تظهر في جميع الأعضاء والجوارح .

الحزن والغم في البُعد والفراق عن المحبوب ، وبمقدار ما يأنس الإنسان باللقاء يحزن عند الفراق بذلك المقدار .

لا يليق الفرح والحزن على الدنيا

لقد ذكرنا أن الحزن منه الممدوح ومنه المذموم ، ومثل ذلك الفرح ، وبنحو عام كلما تعلّق الإنسان بالله والآخرة فإن الفرح في لقائه ممدوح والحزن في فراقه كذلك ، أمّا إذا كانت العلاقة بغير الله ، بأن

كانت العلاقة بهذه الدنيا وأوضاعها الظاهرية المادّية ، فإن الفرح والحزن في حالة اللقاء والفراق مذمومان بأي مقدار كانا .

سقوط التبن عن كتفه

إذا استطاع الإنسان من خلال المجاهدة والمواظبة أن لا يفرح للدنيا ولا يأنس مقدار ذرّة بتحقق أمر مادي فإنه بذلك يكون قد وصل إلى درجة أولياء الله ، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : إن لله عباداً لو ملكوا الدنيا كلها ثم فقدوها كمن سقط عن كتفه حمل من التبن[1] .

من ليس له علاقة قلبية بالمال فإنه لا يحزن لفراقه ، كما أن من له علاقة بالمال يحزن لفراقه .

صعوبة الموت لمن كان ملتذّاً بالدنيا

الويل من ساعة الموت التي فيها الفراق الكامل ، حين يراد فصل الإنسان عمّا تعلّق به عمراً كاملاً ، وبصعوبات بالغة جمعه وأعدّه ، يؤخذ إلى القبر ويترك الفرش ، والحياة ، والزوجة والأولاد وسائر ما تعلّق به ، لذا فإن ساعة الموت شاقة عليه ، والواقع أن إيمانه في خطر ، لأنه في تلك الساعة يشعر بأن الله يريد أن يأخذه ، لذا ربما يموت معادياً لله وتلك هي أسوأ عاقبة .

---

(١) الرواية ليست نصّاً .

قصة قارون وفرحه بمال الدنيا

أعرض عليكم فيما يلي آيتين أو ثلاثاً من القرآن فيما يتعلّق بالفرح والحزن على الدنيا ، يفرح حين يصله أمر مادّي ويحزن حين يؤخذ منه ، يجب أن نعلم بأننا تركنا الطريق الذي دلّنا عليه الله ، وسلكنا طريق الكفار .

يقول تعالى في قصة قارون : ﴿ **فخرج على قومه في زينته** ﴾[1] ﴿ . . . **إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾[2] ، لقد خرج وهو في منتهى الزينة ومعه أقرباؤه ، يسير بين يديه موكب من الغلمان فقال له قومه : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين .

قصص القرآن معلّمة

يجب أن تكون أكثر تواضعاً ، أنفق من هذا المال ، وكنْ خائفاً في الوقت ذاته أن يسألك الله يوم القيامة من أين جمعت هذا المال ؟ وكيف أنفقته ؟ لا أن تكون فرحاً بأنك مليونير ! !

إن قصص القرآن مربيّة لجميع الناس ، وكل من كان على صفة قارون ـ فرحه : بمال الدنيا ـ فإنه غافل عن الله ، منحرف عن جادّة العبودية ، يفرح إذا ربح مليوناً ولكن ينسى أنه سيحاسب يوم القيامة ويسأل عن ذلك . الفرح للدنيا مذموم ، والله لا يحب الفرحين .

---

(١) سورة القصص : الآية ٧٩ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٦ .

ما فائدة الفرح الموجب للغفلة

وفي آية أخرى عن أهل العذاب في جهنّم إذ يصرخون في النار ، فيقول لهم خزنة جهنّم ﴿ **ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون** ﴾[1] .

نسمع أن بعض الجهلاء يقيمون السهرات ، ويأتون أنواع الفحشاء ، وهم في ذلك إنما ينتظرون وعد الله .

ما فائدة اللهو الذي يصدّ عن طريق العبودية ؟

ما فائدة اللهو الذي يُبعدكم عن الهدف من الخلقة ؟

وهل الغرض من خلقك أن تعيش عدّة أيام في هذه الدنيا ، وتجمع المال ، وتأكل وتشرب وتسرح كالحيوان ؟

وهل جهاز الخلقة العظيم هو من أجل أن ترقص ، أو تلهو ، أو تغفل عن الله والآخرة ، وتنحرف عن صراط العبودية المستقيم ؟ .

لعل الأمر يشملني

والآن يجب أن نغيّر أول نكبة محسوسة في أعمالنا وهي الفرح بالدنيا ، وعموماً فإن نوع البشر مبتلى بذلك ، لقد أنذر القرآن كثيراً . . . . ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً** ﴾[2] وهل خلق الإنسان من أجل الشهوات كالخنزير ؟ أم هو معمل للأقذار ؟

---

(١) سورة غافر : الآية ٧٥ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .

لقد كشف الأنبياء المبعوثون (عليهم السلام) الخطر . . . ألا يجب أن يغيّر ذلك في حالك ؟ عسى أن لا أكون ـ كما وعد القرآن المجيد ـ مبتلى بذلك ويشملني العذاب الأليم .

الفرح بالمدح في غير محلّه مذموم

آية شريفة أخرى تقول : **﴿ لا تحسبّن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾**[١] .

فإحسانه إلى أحد بالمال مشوب بتمام التكبّر والافتخار والدلال ، يخبر هذا وذاك ، ويوّد أن يُعرف بذلك ، ويوّد أن يتحدّث عنه في الراديو والصحف أو على المنابر بما ليس فيه .

الحمد لله لا لغيره

لا تظن أن مثل هذا الشخص هو في نجاة من العذاب ، بل هو الآن في العذاب ، عذاب النفس والهوى ، بعيد عن رحمة العباد ، هو متفرعن ، متعالٍ على الله .

إن من يتوقع الحمد يجب أن يعرف أن الحمد لله ، فإذا وفّق أحداً لخير فهو الذي يستحق الذكر والثناء .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

كيف تتوقع التعريف والمدح والثناء والحال أن (الحمد لله) فالحمد مختص به تعالى لا غير .

نعم ، لا مانع من حمد أحدٍ بنحو غير استقلالي ، بشكر الله على أن وفّق فلاناً ـ مثلاً ـ للخير .

إنّ من يتوقع المدح إنما يضع نفسه شريكاً لله من حيث أن الحمد والمدح مختصّ به .

الاستئناس بمدح الناس أمر خطر

يقول المحقق الأردبيلي في كتاب (زبدة البيان) :

نقل خبر لو صحّ لهلكنا ، روي أنه ذكر أحد في حضرة النبي (صلى الله عليه وآله) بمدح فقال (صلى الله عليه وآله) : « لو رضي بما قلتم فيه لدخل النار »[1] .

فمتى ما فرح قلبه بمدحه فقد انقطع عن الله ، وخرج عن طريق العبودية ، وفي ذلك هلاكه أخيراً ، فربما غلبه العُجب والغرور وأوقعه في جهنّم .

إنّ الفرح في غير موضعه يجب أن يترك ، وأحياناً يفرح الإنسان لشدّة جهله بمدحه كذباً ، فهو ليس كريماً لكنه يفرح إذا قيل عنه إنه كريم ، ولكنه يغضب لو قيل له حقاً يا بخيل .

---

(١) زبدة البيان/ كتاب الزكاة .

ترويض النفس على قطع العلاقة بالأمور المادّية

نعرض آية أخرى . . .

يقول تعالى في سورة الحديد : ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾الآية ٢٣ .

على العموم يجب على العاقل المسلم من ـ أهل القرآن ـ أن يمرّن نفسه على أن لا يتعلّق بالدنيا وكل ما يرتبط بها ، ولا يرتبط قلبياً بالأمور المادّية ، المال والاسم والشهرة وسائر ما هو من علائق الدنيا .

بالطبع ، فإن الفرح حسن بالأمور من جهتها المعنوية الإلهيّة ، يفرح لأنها نعمة الله . . . مثلاً رزقه الله أولاداً فهو يفرح لأنهم سيعملون الخيرات بعد مماته ، ويرحمه الله ببركة أعمالهم الصالحة . . . مثل هذا السرور الإلهي الروحاني مطلوب .

﴿ **لا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ لا تفرح بما أعطيت من ناحية مادّية دنيويّة ، كما لا ينبغي أن تحزن لشيء ذهب من يدك ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم** ﴾ فما أكثر الأشقياء الذين ماتوا حسرة لفقدان أموالهم ، فلا تكن ممن تقتله الحسرة ، لا تأس على فوات شيء كما لا تفرح بحصول شيء .

« سودا خوش است كه يكجا كندكسي »[1]

لو أن أحداً وصل إلى هذا الحدّ فهو من أولياء الله الذين يقول

---

(١) مثل فارسي معناه (المعاملة حسنة إذا كانت في موضعها) .

القرآن عنهم ﴿ **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[1] إذ ليس لهم مطلوب لكي يحزنوا بفراقه ، سوى الله وما يتعلّق به .

« سودا خوش است كه يكجا كندكسي » .

الله وما هو مرتبط به مستقر في قلبه ، ولا يفتح لسواه طريقاً إلى قلبه ، فهو لا يحب الدنيا لكي يتأثر حينئذٍ لنقصها أو زيادتها ، ليس له علاقة بجاهها وجلالها ليتأذّى إذا نقصت عليه .

يخاف من فوات الثواب

نعم لديهم حزن إلهي ﴿**ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً**﴾[2] .

أهل الدنيا يخافون على الدنيا ، وخوفهم ناشىء من علاقتهم الخالصة بها ، أمّا أولياء الله فإن خوفهم من الإفلاس في يوم المعاد ، وحزنهم من فوت الثواب ورضى المحبوب .

لقد تحدثنا عن الفصل والوصل الروحاني . . .

أولياء الله يفرحون إذا وفّقهم الله لمناجاته ساعة ، لأن ذلك اتصال مع المحبوب ، وهم كذلك يفرحون إذا وفّقوا لأمر خير .

الإمام الصادق (ع) وإصلاح ذات البيّن

يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) وكذلك عن الإمام

---

(١) سورة يونس : الآية ٦٢ .

(٢) سورة الدهر : الآية ٧ .

موسى بن جعفر (عليه السلام) أنه متى ما وفّق لإصلاح ذات البين ، ـ إصلاح بين شخصين تكدّرت العلاقة بينهما ـ يسجد لله شكراً على أن أجرى هذا الخير وهذه النعمة الكبيرة على يده .

سجود الإمام الصادق (ع) في الطريق

يقول الراوي : كنت مع الإمام الصادق (عليه السلام) في سفر له . وفجأة نزل (عليه السلام) عن مركبه وسجد وسط الطريق ، فقلت : سيدي ما علة سجودكم وسط الطريق ولا أراه يليق بكم ؟ فأجاب (عليه السلام) ما حاصله :

أولاً :ـ لم يرني أحد .

وثانياً : ـ أما علّة سجودي فإني قد ذكرت نعمة من ربّي فشكرته

الاتصال والانفصال الروحاني لأولياء الله

هكذا أولياء الله . . يفرحون إذا تحقق لهم الوصل الروحاني ، أعني الاتصال بما يريده محبوبهم .

آه . . . إذا تحقق القطع الروحاني . . . ورغم أن المعصية بعيدة عن أولياء الله إلا أن صدور المكروه أو الحرمان من الثواب يؤلمهم ، ويوجب لهم حزناً قلبياً .

وما لم يتداركوا ما صدر منهم فإن الندم والأسف باديان عليهم ومستمران فيهم .

ساعة الموت : البشرى بانتهاء الحزن

إن الحزن القلبي لدى أولياء الله ينتهي في ساعة الموت ، حيث تتنزّل عليهم الملائكة ـ حسب نصّ القرآن المجيد ـ ﴿ **ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا** ﴾[1] .

يا أولياء الله كفى حزناً .

يا من تحرّقت قلوبهم كفى خوفاً .

بالتأكيد . . . لا ينبغي أن يشتبه هذا الحزن الروحاني بالحزن المادّي الدنيوي .

وخلاصة المطلب أنه ليس لدى أولياء الله حزن وخوف مادّيان دنيويان ، ولكن لديهم حزن وخوف إلٓهيان ينتهي أمدهما في ساعة الموت ، كما أن لديهم فرحاً إلهياً حين يوفّقون لأداء خير ، فإنهم يفرحون بفضل الله ورحمته حين يحصلون على رضاه .

هل لديّ زاد مناسب ؟

حين يحزن أولياء الله فإنما يحزنون لصدور خطأ منهم أو مكروه ، أو للحرمان من خير ، أو لالتفاتهم إلى صعوبة العقبات فيما بعد .

فكما أن أهل الدنيا يخافون من الفقر في مستقبل الأيام ، والعوز في هذه الدنيا ، فأولياء الله يخافون من الفقر يوم القيامة ، يخافون أن

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٠ .

يكون متاعهم الذي معهم لا قيمة له ، يخافون لأنهم يعلمون أنّه لا ينفع يومئذٍ إلاّ المتاع الخالص ، إن سوق العمل يومئذٍ معطّل !! فهل لديّ عمل ذو قيمة يكون مورد الاهتمام يومئذٍ أم لا ؟

بالطبع فإن هذا الحزن ينتهي في ساعة الموت ، ففي تلك الساعة لهم الأمن والراحة ﴿ **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[1] .

الحزن على الحسين (ع) حزن روحاني

من جملة الأحزان الحزن على الحسين (عليه السلام) ، فهو حزن روحاني وليس حزناً مادّياً .

إنّ من المحال أن لا يحزن من يحبّ الحسين (عليه السلام) أيام محرّم ـ بمقدار حبّه ـ .

وهل يمكن لمن يدّعي محبّة أهل البيت (عليهم السلام) أن يكون عادياً في أيام المصاب هذه ؟

إن الوصل والفصل الروحانيين يؤثران فيمن كانت لديه محبّة ، فهو يفرح في الوصل ويحزن في الفراق والفصل .

فهل يمكن أن تكون مصائب الحسين (عليه السلام) ، بلا أثر في أيام محرّم لقلب فيه حبّ الحسين !؟ لو كان الأمر كذلك لدلّ على أنه لم يكن هناك حبّ .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

الشوق عند الوصل يلزمه الحزن عند الفصل

إنّ العلاقة بمحبوب تدعو إلى التأثّر عند ذكر مصائبه .

إذا فقد الوالد ولده، وغابت عنه أخباره ، فإن حزنه سيبلغ مبلغاً كبيراً ، ولن يفرح قلبه إلّا إذا وضع ابنه المفقود في حِجْره .

إن لازم الشوق عند الوصل الحزن عند الفصل .

إن من يرون مجالس العزاء الحسيني غلوّاً لا خير لهم عن عالم المحبّة !

توجه داني ذوب آب ديدگان عاشق ناني توجون ناديدگان[1]

الرسول (ص) في خيمة أم معبد

نقل العلّامة المجلسي عن القطب الراوندي أنَّ الجوَّ كان حاراً لمّا هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكّة إلى المدينة، ولم يكن معه (صلى الله عليه وآله) ماءٌ ولا طعام ، فوصل إلى خيمة لامرأة اسمها (أم معبد) لها شرف في قومها فطلب منها طعاماً فاعتذرت بأنه ليس لديها إلّا عنزة لم تر لها قطرة لبن منذ سنة للجدب ، فاستأذنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يمسّها، فلما أذنت له مسح (صلى الله عليه وآله) بيده الشريفة على بدنها فنهضت سالمة ، فمسح (صلى الله عليه وآله) ضرعها فامتلأ لبناً حتى ارتوى أصحابه جميعاً من لبنها ، وأبقى لهم لبنها وخيراً كثيراً ، ثم أسلم أهلها لذلك .

---

(١) ومعنى البيت : ماذا تعرف من دموع العيون ؟ إنما أنت عاشق الخبز كمن لم يره .

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) استراح عندها حتى أبرد ، وكان يوماً قائظاً شديداً حرّه ، فلمّا قام من رقدته دعا بماء فغسّل يديه ، ثم مضمض فاه ومجّه على عوسجة كانت إلى جنب الخيمة ثلاث مرات واستنشق ثلاثاً وغسّل وجهه وذراعيه ثم مسح برأسه ورجليه ، وقال : لهذه العوسجة شأن .

فلمّا كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت كأعظم دوحة عادية وأبهى وخضر الله شوكها وساخت عروقها وكثرت أفنانها ، وأخضرّ ساقها وورقها ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمر كأعظم ما يكون . . . والله ما أكل منها جائع إلّا شبع ، ولا ظمآن إلّا روي ، ولا سقيم إلا برىء ، ولا ذو حاجة وفاقة إلّا استغنى . . . فكنّا نسمي تلك الشجرة (المباركة) . . .

فلم تزل كذلك وعلى ذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقطت ثمارها ، واصفرّ ورقها فأحزننا ذلك ، فما كان إلّا قليل حتى جاء نعي رسول الله فإذا هو قد قبض ذلك اليوم ، فكانت بعد ذلك تثمر ثمراً دون ذلك في العظم والطعم والرائحة ، فأقامت على ذلك ثلاثين سنة ، فلما كانت ذات يوم أصبحنا وإذا بها قد تشوكت من أولها إلى آخرها فذهبت نضارة عيدانها وتساقط جميع ثمرها ، فما كان إلّا يسيراً حتى وافى مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فما أثمرت بعد ذلك لا قليلاً ولا كثيراً وانقطع ثمرها ، ولم نزل ومن حولنا نأخذ من ورقها ونداوي مرضانا به ، ونستشفي به من أسقامنا .

فأقامت على ذلك مدّة طويلة ثم أصبحنا ذات يوم فإذا بها قد أنبعث

من ساقها دم عبيط وورقها ذابل تقطر دماً كماء اللحم ، فقلنا : إنّه قد حدث عظيم ، فبتنا ليلتين فزعين مهمومين نتوقع الداهية .

نَوْحُ الجن من أطراف الشجرة

تقول أم معبد :

فلما أظلم الليل سمعنا بكاءً وعويلاً من تحتها وجلبة شديدة ورجةً وسمعنا صوت باكية تقول :

أيا بن النبي ويا بن الوصي   ويا بُقية السادة الأكرمينا

نعم ، الجن أيضاً يعرفون الإمام .

تقول أم معبد :

فأتانا بعد ذلك خبر قتل الحسين (عليه السلام) ويبست الشجرة ، وجفّت فكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك فذهب واندرست آثارها[١] .

مؤمنو الجن يريدون نصرة الحسين (ع)

وروى المجلسي أيضاً قال :

خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصر الحسين بن علي (عليهما السلام) فعرّسوا ـ باتوا ـ بقرية يقال لها (شاهي) إذ أقبل عليهم رجلان شيخ وشاب وسلّما عليهم .

---

(١) تجد نصّ الرواية في بحار الأنوار .

فقال الشيخ : أنا رجل من الجن ، وهذا ابن أخي أراد نصر هـذ الرجل المظلوم ..

ثم قال لهم : قد رأيت رأياً .

فقال الفتية الإنسيون : وما هذا الرأي الذي رأيت ؟

قال : رأيت أن أطير فآتيكم بخبر القوم فتذهبون على بصيرة .

فقالوا له : نِعْمَ ما رأيت .

قـال : فغاب يـوماً وليلتـه ، فلمـا كـان من الغـد إذا هم بصـوت يسمعونه ولا يرون صاحبه وهو يقول :

مـا جئتكم حتى بصـرت بـه　　　منعفـر الخـديـن منـحـورا

نعم ، إنهم ينـوحـون ويعقـدون مجلس العـزاء على الحسين (عليه السلام) .

يقول الشيخ الشوشتري :-

أنـا لا أدري من أين عرف هـذان الجنيّان أن وجـه الحسين كـان معفّراً ؟ لعل ذلك لأنهم رأوا جسد الحسين مرمياً على وجهه .

(الحمد لله ربّ العالمين)

المحتويات

الموضوع | الصفحة

منشوراتنا

- ميزان الحكمة ١٠/١ ـ محمدي الري شهري
- زبدة الكافي ٣/١ ـ تحقيق الشيخ محمد باقر البهبودي
- تهذيب الأصول ٢/١ ـ السيد عبد الأعلى السبزواري
- تحرير الوسيلة ٢/١ ـ سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الاسلام ومنطق القوة ـ السيد محمد حسين فضل الله
- الزواج في الإسلام وانحراف المسلمين عنه ـ مجيد الصيمري
- الأئمة الاثنا عشر ـ دراسة تحليلية ـ عادل الأديب
- المشكلة الاجتماعية المعاصرة ـ الشهيد السيد نوري طعمة
- الدفاع الشرعي في الشريعة الاسلامية ـ الدكتور داود العطار
- نفقات الزوجة في التشريع الاسلامي ـ الشهيد الشيخ عارف البصري
- عبقات الأنوار في الأئمة الأطهار ـ حامد حسين الكهنوي
- دراسات في نهج البلاغة ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- التبرك: تبرك الصحابة والتابعين بآثار النبي علي الأحمدي
- عاشوراء ١٤٠٢ هـ ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- النص والاجتهاد ـ السيد عبد الحسين شرف الدين ـ تحقيق وتعليق أبو مجتبى
- ملائكة الغيب قادمون ـ الشيخ علي كوراني.
- المراجعات ـ الإمام عبد الحسين شرف الدين ـ تحقيق وتعليق أبو مجتبى
- انصار الحسين ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- العدل الإلهي ـ الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- التوازن في الإسلام ـ محمد علي التبخيري
- دروس من الثورة الإسلامية في إيران ـ محمد مهدي الاصفي
- علي والفلسفة الإلهية ـ السيد محمد حسين الطباطبائي
- الجهاد الأكبر ـ سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- مسألة الحجاب ـ للشهيد مرتضى المطهري
- الذنوب الكبيرة ٢/١، للشهيد عبد الحسين دستغيب
- مناسك الحج وهل هي وثنية ـ حسن شحادة
- التقويم بين تراث وثورة ـ نور باقر تقي
- الحسين مدرسة الأجيال ـ عبد العظيم المهتدي البحراني
- الدفاع عن المواقع الأيديولوجية الإسلامية ٣/٢/١
- مبادىء التربية الإسلامية ـ عبد الزهراء عثمان محمد
- نظرية السياسة والحكم في الإسلام ـ السيد محمد حسين طباطبائي
- المسلم صلاة وثورة ـ الشيخ زهير كنج
- الاسراء والمعراج ـ بنظرة عصرية ـ دراسة وتحليل ـ علي عسيلي
- المرآة مع النبي في حياته وشريعته ـ الشهيدة بنت الهدى
- النبي الأميّ ـ الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- دعبل الخزاعي ـ حسين موسى
- الإيمان حقيقة وهدف ! بسام مرتضى
- مناسك الحج ـ سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- بحث علمي تحقيقي حول أولي الأمر والولاية ـ السيد أحمد الفهري
- الاعلام اليهودي ـ الشيخ عبد الله حلاق
- الجهاد والتغيير ـ الشيخ عبد الله حلاق
- السلام بعد تحرير القدس ـ الشيخ محمد طحيني
- شهر الله ـ الشهيد السيد عبد الحسين دست غيب
- الصلاة ـ سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الحكومة الإسلامية ـ سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني

- القادة الأبرار ١/ ١٤ مع علبة
- رواد الفداء ١/ ١٠ مع علبة
- البقرات الثلاث - قصة
- العصافير الصغيرة والفيل - قصة
- الديك والقطط - قصة
- مشاهد النور - للأطفال - عبد الحليم خضرا
- شمعة السحر (صلاة الليل) سماحة آية الله السيد أحمد الفهري
- الرياء والعجب - سماحة آية الله السيد أحمد الفهري
- زبدة الأحكام - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- خلاصة الاعتقاد - محسن عطوي
- أساس الحكومة الإسلامية - كاظم الحائري
- الحياة السياسية للإمام الجواد (ع) - السيد جعفر مرتضى
- دليل الداعي في أيام الأسبوع وشهر رمضان المبارك

كتب وصلت حديثاً

- معجم مقاييس اللغة ١/ ٦ تحقيق عبد السلام محمد هارون
- كتاب البيع ١/ ٥ - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- طبقات إعلام الشيعة ١/ ٤ - آغا بزرك الطهراني
- رسائل أخوان الصفا ١/ ٤ أخوان الصفا
- المكاسب المحرمة ١/ ٢ سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الافصاح في فقه اللغة ١/ ٢ - حسين موسى - عبد الفتاح الصعيدي
- مفتاح كنوز السنة - ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي
- رجال الخاقاني - الفقيه الشيخ علي الخاقاني
- جواهر البلاغة - السيد المرحوم أحمد الهاشمي
- تعليقة شيقة على شرح منظومة السبزواري
- كتاب الصلاة - الشيخ عبد الكريم الحائري (غلاف)
- مكاتيب الرسول - علي الأحمدي
- أساس البلاغة - الإمام الزمخشري
- كتاب الزكاة - آية الله العظمى الشيخ حسين علي منتظري
- بداية الحكمة - العلامة السيد محمد حسين طباطبائي
- دراسات في علم النفس الإسلامي - الدكتور عبد الرؤوف عبد الغفور
- دروس من القرآن - محسن قراءتي (مجلد)
- فلاح السائل - السيد رضى الدين بن طاوس
- الممهدون للمهدي - الشيخ علي كوراني
- حقوق المرأة في النظام الإسلامي - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر - سماحة آية الله العظمى الشيخ منتظري
- التعليقات لابن سينا - تحقيق الدكتور عبد الرحمن البدوي
- علم الأصول - علي الفاضل القائيني
- مبادىء الوصول إلى علم الوصول - العلامة الحلي
- معجم مؤلفي الشيعة - الفاضل القائيني النجفي
- قدوة الفقهاء - سيرة حياة آية الله العظمى المنتظري

كتب تحت الطبع تصدر قريباً

١ - دروس في التفسير - لسماحة السيد الفهري.
٢ - التوبة والعفو الإلهي - للسيد طاهر أبو رغيف
٣ - قصص أطفال - مجموعتان - مع علبة
٤ - نهاية الأصول - مجلد - تقريرات آية الله المنتظري عن السيد البروجردي
٥ - قصص الأنبياء للناشئة والفتيان - مع علبة
٦ - المرأة في التصور الإسلامي - الشيخ محسن عطوي (طبعة جديدة منقحة ومزيدة).
٧ - الدليل على موضوعات نهج البلاغة

